البيّنات

في هيئة الأرض والبروج والسماوات

إعداد:

عبدالإله بن عبدالله بن علي جابر

١٤٤٥هـ

البـيّـنـات

في هيئة الأرض والبروج والسماوات

إعداد:

عبدالإله بن عبدالله بن علي جابر

١٤٤٥هـ

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

الجاثية : ٣

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنّ عِلم الهيئة ـ أو ما يسمى علم الفَلَك أو الفضاء ـ هو العِلم الذي يبحث عن أحوال الأجرام السماوية من حيث الكمية والكيفية والوضع والحركة اللازمة لها وما يلزم منها.

ومِن أعظم ثماره: النظر في آيات الله الكونية، وتأمل عظمة الخالق الذي أحسن كل شيء خلقه، وأبدع وأتقن كل شيء صنعه.

كما أنّ من ثمرات هذا العلم: معرفة حساب الأيام والشهور والسنوات والأهلة وأوقات العبادة الشرعية، ومعرفة أحوال الشمس والقمر، كالكسوف والخسوف والمنازل الفلكية، ومسير الكواكب، ومعرفة النجوم والأبراج والجهات والفصول ومواسم الزروع وتكاثر الدواب وهجرة الطيور وغيرها.

وقد تأمل علماء المسلمين آيات الله الكونية، وسطروا إبداعهم في كتبهم وحضارتهم التي ملأوا بها الدنيا نوراً ومعرفة في زمن ظلمات أوروبا، بل قبل ذلك.

إلا أنه لما خَلَفهم مَن رَكَن إلى الدنيا وابتعد عن دين الله وترك الأخذ بأسباب العزة والتمكين؛ سقطَت حضارة المسلمين المادية، وتسلط على الناس مَن زيّفوا حقائق العلوم لينصروا معتقدات وسياسات دنيوية منحرفة عن الصراط المستقيم.

وكما أنّ التأمل في خلق الله وفهم نصوص الوحي ـ وربطها بالآيات الكونية ـ يزيد في الإيمان ويرفع درجات صاحبها، ويورثه طمأنينة القلب؛ فإن الانسياق وراء النظريات والتخرصات الموهومة ـ في هيئة السماوات والأرض والكون وما فيه بدون علم يقيني أو استدلال نظري سليم ـ يورث الحيرة والشكوك والتخبط.

وعجباً لمن أسلم عقله للافتراضات والرجم بالغيب الذي يدعيه بعض المنظرين من الملاحدة وغيرهم، وما تخيلوه بشأن أصل وحركة ما في الكون والأفلاك، وما يؤرّخونه بملايين السنين الضوئية كما يخرصون، وعجباً لمن يشك فيما يراه بعينيه ويدركه بحسه، ويتوقف فيما دل عليه الوحي والفطرة، وأيده التأمل السليم، والنظر الصحيح، والاستدلال البيّن، كما سيأتي بيانه.

ومن ذلك ما أحدثوه من نظريات باطلة تزعم أن الكون نشأ صدفة من انفجار، وأن الإنسان تطور من قرد، وأن السماء هي فضاء لا نهاية له، وأن النجوم انفجارات تبعد ملايين السنين الضوئية، وأن الشمس هي مركز الكون، وأن الأرض ليست ثابتة، وأنها تدور مع الكواكب حول الشمس في فلك. وظهرت جماعة تزعم أن الأرض كلها مسطحة وليست كروية، إلى غير ذلك من الانحرافات والضلالات التي تخالف دلالات الوحي وتخالف الفطرة والعقل والتأمل والنظر والاستدلال.

ولمّا تسرب بعض هذه الخرافات إلى كثير من عامة الناس الذين غرتهم الحضارة الغربية التي فَرضَت بالقوة العسكرية والإعلامية ما حسن وقبح من علوم أهلها ومعتقداتهم؛ كان من الواجب بيان الحقائق والدلالات، بإظهار البينات والآيات، التي تكشف الشبهات، وتمحق تلكم الضلالات.

ولذا جمعتُ هذه البيّنات، مما سطره أهل العلم والنظر، لتكون عوناً لطالب الحق بالدليل والحجة، وقد كانت موضوعاً ضمن كتابي (قصة الحياة) فزدت عليها تفصيلاً وبياناً وأفردتها هنا.

وما في طيات هذا الكتاب؛ إنما هو جمع وتنسيق وتيسير وبيان؛ لَم ألتزم فيه أساليب الأبحاث المستحدثة، وما قَصُرَت إحالته لمصدره وقائله؛ فليس بالضرورة أنه من بنيّات أفكار جامعه، ولذا جرى التنبيه.

سائلاً الله أن يجزي خيراً من أفدت بعلمه، وأن يسدد به، وينفع به جامعه وقارئه، إنه سميع مجيب.

عبدالإله بن عبدالله بن علي جابر

جدة، الثالث والعشرين من ذي القعدة عام ١٤٤٥هـ

نبذة عن الحضارة الإسلامية

لما انتشر دين الإسلام في وسط الأرض، وأضاء قلوب أهل تلك البلدان بنور الوحي الصافي، فتدبّروا القرآن الكريم، وتدبروا ما يحدثه الله من الآيات في الأنفس والآفاق وأيقنوا أنه الحق، وعملوا بما تدبروه وأيقنوه من العلم؛ أزال الله عنهم الخرافات والعصبيات والطبقيات والعدوان والضلالات، وارتقى بأرواحهم وفكرهم وأخلاقهم وأحكامهم، واتصلت تعاليم الدين بكل مجالات الحياة، فانعكس ذلك على جودة حياتهم بنماء وتطور مظاهر الرقي في المعيشة، والعمل، والاجتماع، والتعليم، والحكم، وفنون الإدارة والنظم والاتصال، وترتيب وسائل الراحة، وأسباب الرفاهية المباحة، فضلاً عن الجانب المادي من العمران، وما ينتجه العلم التجريبي من الابتكار والاختراع فيما يتصل بجميع مرافق الحياة؛ كالصناعة والزراعة، والطب، والهندسة، وما إليها مما يكون عوناً على تيسير العيش، ورغد الحياة، فيما يوصف بـ (الحضارة الإسلامية).

وارتحل المسلمون في أنحاء الأرض متمسكين بالعقيدة الصحيحة والفطرة السليمة والأخلاق العالية، فأسلمَت أممٌ كبيرة في الشرق الآسيوي بأخلاق التجار المسلمين وأمانتهم في تجارتهم؛ دون أن يروا فارساً واحداً.

ونوّر المسلمون الدنيا علماً وديناً وأخلاقاً ورقياً في دولة الخلافة الإسلامية، في زمن كانت فيه أوروبا تعيش في تخلف وجهل.

ولذلك يعمد كثير من المؤرخين الغربيين إلى تجاهل ألف سنة تقريباً من تاريخ أوروبا الغابر، من عام ٤٥٠م حتى عام ١٤٩٢م، وهي عشرة قرون يصفونها بـ(المظلمة) في أوروبا؛ حيث كان رجال الكنيسة ورقباء الأخلاق والسلوك فيها يحاربون المعرفة. ثم يزعم أولئك المؤرخون الغربيون أن التطورات ظهرت لديهم فجأة في عصر النهضة كما لو كانت بفضل معجزة!!

وكل عالم معتبر يدرك أن الحضارة المادية لا يمكن أن تظهر بالمصادفة، وإنما تكون باستمرار التطور في العلوم في تلك الحقبة التي وُصفَت بالعصور الذهبية لحضارة العالم الإسلامي المادية؛ من حيث التطور والارتقاء في جوانب المعيشة من الصناعة والزراعة والتجارة والطب والهندسة والكتابة والتعليم، منذ بروزها في القرن الهجري الثاني إلى القرن الحادي عشر الهجري (٨٠٠ - ١٦٠٠م).

مِن آسيا الوسطى حتى شواطئ المحيط الأطلسي، مروراً بمراكز التطور الحضاري المادي والعلمي في بغداد ودمشق والقاهرة والأندلس والسلطنة العثمانية، والتي ابتكر علماؤها المسلمون الجبر واللوغارتمات التي أدت إلى بناء الحواسيب وحل الشيفرة.

وفحص أطباؤها جسم الإنسان واكتشفوا علاجات جديدة للأمراض، ونظر فلكيوها في السماوات وسمّوا النجوم، ومهدوا الطريق أمام استكشاف أسرارها ونظامها، وأثاروا اهتماماً هائلاً بالعلوم والتقانة، وبرز فيها الروّاد المسلمون الذين اشتهروا في الكيمياء، والفيزياء، والطب، وعلم الأحياء، والجبر، والهندسة، والعمارة، والزخرفة، والزراعة، وفي الصناعات الإنتاجية، التي كان لها أثر ملموس على الحضارة الحديثة.

وكانت المدرسة في العالم الإسلامي مرتبطة بـ(المسجد)؛ إذ لم يكن هناك فصل بين الدين والمعارف الدنيوية كما كان عند الروم النصارى، لأن المسجد كان مكاناً للتعبد والتعلم في آن واحد، فلم يَقُم مسجد إلا وكان في الوقت نفسه معهد تعليم، وكانت مكتبة المسجد تسمى: (دار الكتب) أو (بيت الكتب) أو (كتب خانة).

وكان في بغداد ـ قبل أن يدمّرها المغول ـ ست وثلاثون مكتبةً وأكثر من مئة كُتْبي، وكان العلماء يُملُون على طلاب العلم والنُّسّاخ.

وفي المسجد الأموي الكبير في حلب كانت (المكتبة السيفية) تضم عشرة آلاف مجلد، وكان مسجد الزيتونة الجامعي في تونس يضم عشرات الآلاف من الكتب، وكان في مكتبة قرطبة ستمائة ألف مجلد، وأقدم جامعةٍ في العالم ما زالت قائم ـ بحسب اليونيسكو ـ هي جامعة القَرويين التي أنشأها المسلمون.

وما يُذكَر هو غيض من فيض، إذ يَصعب حصر إنجازات وبراعة وسبق علماء المسلمين في الابتكار والاكتشاف وتطوير العلوم والحضارة.

فكان المسلمون هُم الأسبق إلى معرفة علم الحركة، حيث نبغ فيهم ابن باجه (ت ٥٣٣هـ) وابن ملكا البغدادي (ت ٥٦٠ هـ)، والسابق في معرفة نظرية الجاذبية هم بنو موسى بن شاكر وهم ثلاثة: أبو جعفر محمد (ت ٢٥٩هـ) وأحمد وحسن، الذين ابتكروا الكثير من الآلات الهندسية، وكذلك أبو الفتح عبد الرحمن الخازني أو الخازن (ت ٥٥٠ هـ تقريباً).

وأول مَن فَسّر ظاهرة (المد والجزر) وربطها بحركة القمر: هو العالم الفلكي المسلم أبو معشر البلخي (ت ٢٧١ هـ).

كما أن ابن الهيثم (ت ٤٣٠ هـ) – وليس كبلر (ت ١٠٤٠ هـ) ولا غيره– هو مكتشف قوانين الضوء، وقد استخدم البرهان التجريبي لفحص نظرياته، واستخدم في تجاربه مصطلح "البيت المُظلم" الذي ترجم إلى اللاتينية بمصطلح (Obscura Camera)، وما زالت كلمة "كاميرا" قيد الاستعمال اليوم شأنها شأن الكلمة الدارجة في العربية "قمرة" التي تعني غرفة خاصة أو مظلمة.

وابن النفيس (ت ٦٨٧ هـ) – وليس هارفي (ت ١٠٦٧ هـ)– هو مكتشف الدورة الدموية.

وقد سطّر ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) في كتبه لا سيما كتابه "السماء والعالم" العديد من القوانين الفلكية المشتهرة، وكذلك فعل ابن الشاطر (ت ٧٧٧ هـ).

كما أن ابن وحشية (ت ٢٩٦ هـ) – وليس شامبليون (ت ١٢٤٧ هـ)– هو الكاشف عن الرموز الهيروغليفية المؤدِّية إلى فك رموز حجر رشيد.

وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) – وليس أوغُسْت كونت (ت ١٢٧٤ هـ) ولا دوركهايم (ت ١٣٣٥هـ)– هو مؤسس علم الاجتماع.

والجوهري صاحب معجم الصحاح (ت ٣٩٣ هـ) وعباس بن فرناس (ت ٢٧٤ هـ) هما أول من حاول الطيران.

والرازي (ت ٣١١ هـ) هو مؤسس علم طب الأطفال.

والغزالي (ت ٥٠٥ هـ) – وليس بافلوف (ت ١٣٥٥ هـ)– هو مكتشف الفعل المنعكس الشرطي.

وابن يونس (ت ٣٩٩ هـ) هو المكتشف لقانون النَّواس (البندول)، وهو أيضاً المخترع له في مجال استعماله، وليس غاليليو الإيطالي (ت ١٠٥٢ هـ).

وكان العالم الإسلامي إقليماً موحَّداً، فَطوّر المسلمون أنظمة ري مكثف، وأنشأوا المزارع التجريبية، وأثبتوا الملكية الفردية للأرض، وكتبوا سجلات مفصلة لعقود بين مالكي الأرض

والفلاحين، ونقلوا أشجار النخيل وقصب السكر وأصنافاً من الرمان والتين وغيرها إلى الأندلس، وصدّروا القطن والصوف والحرير، وزرعوا الأرز وابتكروا السقي بالنواعير[١]، وحسنوا سلالات الخيول والبهائم، وحفروا أقنية تحت الأرض يجري فيها الماء عبر الأراضي الوعرة والقاحلة والصحراوية، وحسبوا الارتفاعات بدقة من خلال حساب المثلثات وآلة الأسطرلاب.

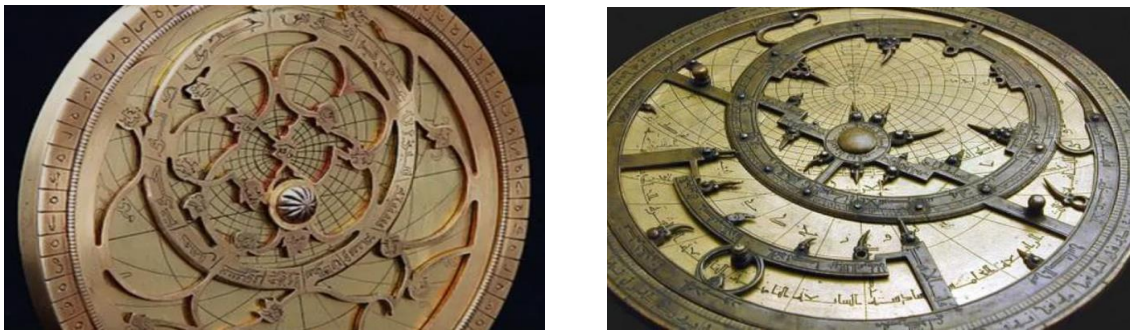

نماذج من الاصطرلابات

وصنعوا (الجداول الفلكية) لتبين أوقات الزراعة وأوان الحصاد، وبينوا طرق إثراء التربة بالحراثة العادية والعميقة والعزق والحفر والتسوية، وطرق الري بالتنقيط، وصنفوا التربة والماء وفق أنواعها وقدراتها، واستخدموا طاقة الرياح والماء على نطاق واسع لتشغيل رحى الطواحين في طحن الحبوب ورفع الماء لسقاية الأرض، وتفننوا في البناء والزخرفة والإضاءة والتهوية وتوزيع الصوت، وكذلك في فنون بناء الأقواس والقناطر والقباب والمنائر والمحاريب، وبناء الأقبية والعقود المضلعة، والمقرنصات[٢]، والجواسق[٣]، والحمامات.

وأنشأ المسلمون (المستشفيات) التي تسمى المارستانات، والفاخرة منها تُسمّى البيمارستانات، وكان تمويلها بالصدقات والهبات والأوقاف أو من بيت مال المسلمين، وكان العلاج متقدمًا جدًا

---

[١] النواعير: هي وسيلة قديمة تستخدم المياه الجارية أو الساقطة لتوليد قوة مائية بوساطة مجموعة من المجاديف المركبة حول عجلة كبيرة تثبت بشكل رأسي، حيث تحرك قوة الماء الجاري المجاديفَ فتنتقل الدورة الحاصلة للعجلة إلى آلة أخرى بوساطة عمود العجلة. وأصل تسمية الناعورة لغوياً من فعل نَعَر بمعنى: أحدث صوتاً فيه نعير، والنعير: هو صوت يصدر من أقصى الأنف. وسميت بالناعورة لصوتها.

[٢] المقرنصات: هي أشكال ووحدات زخرفية تستخدم في تزيين البناء، وشبه المقرنص الواحد ـ إذا أُخذ مفصولاً عن مجموعته ـ محراباً صغيراً، أو جزءً طولياً منه. وهو ذو أنواع وأشكال متعددة، ولا يُستعمل إلاّ متكاثراً متزاحماً بصفوف مدروسة التوزيع والتركيب، متجاورة متعالية، حتّى لَتبدو كلّ مجموعة من المقرنصات وكأنّها خلايا النحل أو أقراص الشَّهد، حيث تتلاصق خلاياها وتجمع بين عناصرها خطوط وكُتَل متناغمة، رياضيّة التصميم، متناهية في الدقة، تؤدي وظيفة معمارية محددة، ودَوراً زخرفياً جمالياً.

[٣] الجواسق: القصور والحصون الصغيرة.

بمعايير تلك العصور، ومتاحًا للجميع بلا مقابل، وكانت أدوات الجراحة المستعملة في غاية التقدم، وما زالت الملاقط التي ابتكرها الجراحون المسلمون تُستخدم حتى اليوم.

كما أنشأوا محطات الاستراحة على طريق التجارة التي تعرف بالخانات (الفنادق) لتقدم للمسافرين المأوى والطعام ثلاثة أيام بالمجان.

وكان المسلمون يصدّرون للعالم (الأواني) الزجاجية المزخرفة، والمزهريات، حيث أتقنوا مهارات التزجيج والتلميع المعدني لعدة قرون، وكانت الآنية الإسلامية رمزاً لمكانة مالكها في أوروبا.

كما صَدّر المسلمون المنتجات العاجية المحفورة، والقرميد[١]، والبلاط والخزف والفخار، والجلود الملونة من مختلف الأنواع، والورق والسجاد، والمخطوطات المزودة بالصور والرسوم والشروح، والمنتجات المعدنية بما فيها السيوف الدمشقية، وكذلك الأقمشة القطنية الناعمة والمنسوجات الحريرية الثمينة، وصنعوا الصابون الصلب وقطروا العطور، وكتبوا على رق الجلد وورق البردي، ونقشوا على الرخام والآجرّ والزجاج والقماش والخزف وأشغال الخشب والمعدن والحجارة الكريمة وشبه الكريمة، وكتبوا بأقلام القصب بمداد وأحبار مختلفة الأنواع والألوان.

وطوروا صناعة (الورَق) من القنّب، واشتهر عندهم الورق الشاطبي، وازدهرت الصباغة وصناعة الحبر والنسخ والخط، وتجارة الكتب، وحفّزوا الناس على التعلم والقراءة واقتناء المكتبات الخاصة، كما ازدهرت لديهم صناعة السجاد الإسلامي العثماني والفارسي، وما زالت بعض المنتجات تحمل الأسماء العربية مثل الموسلين (muslin) الذي كان يصنع أساساً في مدينة الموصل، والدامسكو (damask) في دمشق، والبلداشين (baldachin) في بغداد، والغوز (gauze) في غزة، وكلمة (cotton) هي من الكلمة العربية (قطن) التي تعني القطن الخام.

واستخرج الغواصون المسلمون اللؤلؤ والمرجان من البحار، واستُخرِج الزمرد في جنوب مصر، والفيروز في فرغانة، والياقوت في بدخشان، والعقيق الأحمر والعقيق اليماني في اليمن والأندلس، والملح الصخري أو الذهب الأبيض ـ وهو من المواد الثمينة المستخرجة من المناجم ـ في حضرموت وأصفهان وأرمينيا وشمال وغرب إفريقيا، ومادة الشب من مصر والسودان، واستخرجوا ملح النطرون.

---

[٤] جمع قَرْمَد، وهي حجارة مصنوعة من طين بأشكال جمالية، تُنضج بالنار، وتطلى بألوان، ويبنى بها أو يغطَّى بها وجه البناء.

كما سُكَّت (العُمْلات الإسلامية) دراهم ودنانير، وأضيف معها ما يعرف بالصكوك ومفردها صك، وكلمة cheque (الشيك) مأخوذة من كلمة (صَك) العربية، وهو كتاب شرف يلتزم فيه الموقع بالدفع لقاء حصوله على السلع عندما تصل إلى غايتها.

واخترع علماء المسلمين (أدوات مختبرات الكيمياء) مثل البوتقة، ووعاء الإنبيق أو المعوجة، ورأس الإنبيق، وأنبوب التوصيل، إضافة إلى أنماط مختلفة من الأفران أو المواقد.

كما أسسوا (عِلم الجبر) وطوروا العمليات الحسابية، وواءم المسلمون الأرقام من ١ إلى ٩ وفق الزوايا وطوروها إلى الأرقام الحديثة المستخدمة اليوم، وكانت تسمى بالأعداد الغبارية.

وابتكروا (الصِّفْر) وأعطوه خاصيةً رياضيةً تنص على أنه إذا ضُرِب بأيّ عدد آخر كانت النتيجة صفراً، وكان يحدد له في السابق فراغ أو "لا شيء"، وسمّاه الأوروبيون صفروم Cephirom وصايفر Cipher، ومن خلاله مع الأعداد الغبارية أتيح للناس أن يكتبوا أي عدد يريدون.

وأبدع المسلمون في (عِلم المثلثات) وعلم المثلثات الكروي، والهندسة وتجارب الطيران، وصنعوا آلات ساعات كثيرة مختلفة الأحجام والأشكال.

وطور المسلمون (البارود)، وصمموا المدافع، وصنعوا القذائف، وصنعوا أول طوربيد مائي وكان يسمى (البيضة المتفجرة ذاتية الحركة)، وقد صمم لينطلق على سطح الماء، وسمي (البيضة التي تتحرك ذاتياً وتحرق)، واستخدم المسلمون أعمدة إسناد داخل القلاع لتعزيز صمود الجدران.

واستخدم الخلفاء العباسيون (الحمام الزاجل) لإيصال رسائل البريد، وقد ألّف ابن عبد الظاهر كتاباً عن الحمام الزاجل.

كما برع المسلمون في علم التعمية (التشفير)، وكان من أهم أساليب فك الشيفرة ما أورده الكِندي في كتابه "رسالة استخراج المُعَمَّى".

وارتحل علماء المسلمين في أنحاء الأرض وتأملوا فيها، ودونوا رحلاتهم وملحوظاتهم ومشاهداتهم.

فكَتَب في (الرحلات) ابن بطوطة وابن فضلان وغيرهم.

وحدد ابن سعيد المغربي خط العرض وخط الطول لكل مكان زاره.

وأسس ابن خلدون نظريات علم الاجتماع في كتابه التاريخي الاجتماعي الشهير "العبر" الذي عرف بـ "تاريخ ابن خلدون" والذي اشتهرت مقدمته الفريدة[١].

[١] للاستزادة يراجع: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي لمجموعة من المؤلفين. وكتاب ألف اختراع واختراع – التراث الإسلامي في عالمنا، لسليم الحسني. ومعجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات) لعلي رضا بلوط وأحمد طوران بلوط. والموسوعة التاريخية من إعداد مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف على موقع الدرر السنية على الإنترنت net.dorar .

إبداع المسلمين في عِلم الفَلَك

وقد أبدع المسلمون في التأمل في خلق الأرض والسماء، وأنشأوا المراصد الفلكية في بغداد ودمشق وغيرها، وابتكروا وطوّروا العديد من الاختراعات الفلكية؛ مثل مجسمات الكرة السماوية، والكرة الأرضية، والأسطرلابات المتنوعة، والحلّقات، وهياكل الرُبعيات والسُدسيات، ورسموا خرائط الأرض، وحددوا أحجام نحو ١٠٢٢ نجماً وكوكبة، وما زال ١٦٥ نجماً حتى اليوم تحمل أسماءً تعكس أصولها العربية.

ومكنهم تطوير (الأسطرلاب) من رصد مواقع النجوم ووضع جداول دقيقة لفصول السنة ومواعيد الصلاة، ومعرفة الاتجاهات في الرحلات والسفر والاتجاه إلى الكعبة في مكة ولقياس ارتفاع الشمس، وتحديد الزمن في الليل والنهار، وإيجاد زمن الحدث السماوي كبزوغ الشمس وغروبها أو حساب ذروة النجم في كبد السماء، وتقويماً لتحويل يوم الشهر إلى موقع الشمس على دائرة البروج، ومقاييس مثلثاتية ومدرجاً بـ ٣٦٠ درجة، وذلك مبني على أن الأرض مركز الكون الكروي، مع مراقب خيالي موضوع على ارتفاع معين ووقت معين خارج هذه الكرة وينظر إليها من الأعلى. وطور علي بن خلف أسطرلاباً كونياً، وصنع الزرقالي أو ابن الزرقالة أسطرلاباً معقداً ومتقدماً يمكن استخدامه في أي مكان جغرافي، وسماه (الصفيحة) أو (الصفيحة المشتركة لجميع العروض).

وللحصول على إحداثيات أكثر دقة للأجرام السماوية الضرورية للجداول الفلكية المفصلة استخدموا الأسطرلاب مع أدوات أخرى؛ كالربعيات الكبيرة، والحلّقات الرصدية، حيث أنشأ العلماء المسلمون مجسماً أو آلة فلكية تسمى (المحلَّقة) أو (ذات الحِلَق)، وقد كتب عنها مسلمة المجريطي وابن الصفار وعلي بن عيسى والخوارزمي، وهي نموذج صغير للكرة الأرضية محاط بحلقات دائرة البروج، ودائرة خط الاستواء، والمدارات والدوائر القطبية، وكلها مرتبطة بحلقة مدرّجة، محورها محور خط الاستواء.

وتتكون الحلّقات من حلقات معدنية متحدة المراكز، وتكون الأرض في مركزها والأجرام حولها لتمثل حال السماء وإحاطة الأرض بكرة من النجوم، وتبين الحركات النسبية للأجرام السماوية حول

الأرض، وقد ذكرها الفِزاري (ت١٨٠هـ) في كتابه:(العمل بالأسطرلابات ذات الحلق)، كما كتب عنها جابر بن أفلح الإشبيلي.

نماذج

من المحلّقات

التي استخدمها العلماء مئات السنين، والمبنية على كروية الأرض وثباتها في المركز، ودوران الشمس والقمر والنجوم والأبراج حولها.

وقد أمر الخليفة المأمون مجموعة من الفلكيين المسلمين بقياس (محيط الكرة الأرضية)؛ فقاسوا طول الدرجة القوسية الأرضية التي وجدوا أنها تساوي ٥٦,٦٦٦ ميلاً عربياً، أي ما يعادل ١١١,٨١٢ كم، وبالتالي حددوا طول محيط الكرة الأرضية بما يعادل ٤٠,٢٥٣,٤ كم، وهو قياس قريب جداً من القياس الحديث في هذا الزمان بأجهزة التقانة (التكنولوجيا) المتطورة والذي بلغ ٤٠,٠٧٤ كم.

وكان للمسلمين السبق في اختراع (الخرائط)، كخرائط الإدريسي صاحب كتاب: (نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق) الذي صنع مجسماً دائرياً من فضة ليبين كروية الأرض وتضاريسها، وحسب محيطها، ورسم سبعين خريطة إقليمية.

وكخرائط القائد البحري العثماني بيري ريّس أو بيري رئيس – مؤلف "كتاب البحرية" أو "تقاليد البحر"– التي أذهلت علماء الحضارة الغربية في دقتها، حيث رسم خارطتين مرسومتين بتسعة ألوان علي جلد الغزال للشواطئ الغربية لإفريقيا، والشواطئ الشرقية للأمريكيتين والحدود الشمالية لليابسة في القارة القطبية الجنوبية (أنتاركتيكا).

وقد أظهرَت هذه الخرائط ـ بوضوح ـ أماكن لم يكتشفها الإنسان في ذلك الزمان، ورسم عليها جبال القارة القطبية الجنوبية ووديانها، في حين لم تتوصل المراكز الجغرافية المعاصرة إلى رسمها إلا بعد عام ١٩٥٢م بعد أن تسلحت بأحدث تقنيات المسح الزلزالي.

ومما زاد الغرب حيرة أن الصور التي التقطتها المركبات الفضائية للقارة القطبية الجنوبية جاءت مطابقة لخرائط الريّس بيري، والشيء نفسه للحدود الشرقية في القارتين الأمريكيتين، مما سبب إحراجاً لعلماء التأريخ وعلماء الجغرافيا الغربيين، وأثبت لهم أن المسلمين وصلوا منذ القدم لأقصى أنحاء الأرض ولأمريكا قبلهم.

ولذلك يرفض الغربيون الاعتراف بأن مَن رَسم هذه الخرائط المذهلة هو السيد بيري (بيري رئيس)؛ لأن اعترافهم بها يعني أن المسلمين كانوا يجولون في السواحل الأمريكية قبل مولد كولومبس، وأنهم كانوا يبرحون في جميع المحيطات بين القطبين، ولكونها تحوي بعض الملاحظات والكتابات التاريخية التي يعلم منها أن السواحل الشرقية لقارة أمريكا كانت مسجلة ضمن الممتلكات العثمانية

تحت اسم "أنتيليا" منذ عام ١٤٦٥م، أي قبل كولومبس بـ ٢٧ عامًا، وأن تشابه اسم جزر الأنتيل الحالية مع اسم أنتيليا يشير إلى أن هذا الاسم مأخوذ من اللغة المحلية لشعب تلك المنطقة آنذاك.

وهذا الاعتراف يجرد الغرب من كثير من الاكتشافات الجغرافية التي يفخرون بها، ولكون هذه الخرائط تدل على التفوق العلمي آنذاك لكونها شديدة الدقة، حتى ادعى بعض الغربيين أنها من رسم كائنات فضائية، وهي موجودة في مكتبةٍ بقصر الباب العالي في إسطنبول بتركيا.

تمزُّق الخلافة والحضارة الإسلامية ونشوء الحضارة الغربية

وكانت دولة الخلافة الإسلامية تمر بمراحل قوة كلما تمسكت بدينها، ومراحل ضعف كلما ابتعدت عنه؛ بالميل للرفاهية والتفرق والاختلاف والتخاصم على الملك والاستعانة بالأعداء والثقة بأهل الانحراف والبدع كالجهمية والمعتزلة والرافضة وغيرهم.

وقد تلاشى مُلك بني أمية واضمحل لما تركوا سيرة ونهج الخليفة عمر بن العزيز، وجعلوا الجعد بن درهم مُرَبيًّا[1]، وترجَموا الفلسفات الوثنية، وأشغلوا الناس بالنقائض بين جرير والفرزدق، وأشاعوا الغناء في الحجاز، وأبعدوا الصديق وقرّبوا العدوّ، وزيّن لهم المنافقون أن طاعتهم واجبة في كل شيء.

وهكذا جاءت الخلافة العباسية وما بعدها، وحين غلب الترف والانشغال بملذات الحياة على المسلمين، وضعف تمسكهم بدينهم وأخلاقهم، وانشغلوا بالفلسفات والمعازف واللهو، وتفرقوا واختلفوا وانقسمت دولتهم إلى دويلات، وتركوا الأخذ بأسباب القوة والجهاد؛ سقطت خلافتهم التي أنارت قلب العالم ونشرت العلم والمعرفة في عصور ظلمات أوروبا.

ثم قامت على إثرها الحضارة الغربية، التي اكتسبت من علوم ونبوغ المسلمين وأنظمتهم، إلا أنها لم ترتبط بنور الوحي الإلهي، وإنما امتزجت بآفات الوثنية والإلحاد والعنصرية، فابتدأت بالتطهير العرقي والتفنن في تعذيب المسلمين، وإقامة محاكم التفتيش في الأندلس (إسبانيا) وإبادة غير النصارى وسلبهم.

وظهر في أوروبا نظام الطبقية والاستئثار والعنصرية، والحروب النووية المدمرة، ونوادي العراة وزواج المثليين.

وأصبحت الجرائم الكبيرة تنتشر من تأثير أفلام الرعب وأفلام الجنس والإباحية والقذارة التي ينشرونها.

---

[1] مؤسس مذهب الجهمية، المبتدع الموصوف بالزندقة، والذي أفتى العلماء بقتله، مربي مروان الحمار، وهو أول من قال بخلق القرآن، وادعى أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً.

وأصبح الأقوى يتسلط على الأضعف لتحقيق مصالحه بعيداً عن الأخلاق، فمع ما تعانيه الدول الأوروبية مِن تفكّك لغوي وتفكك عرقي وبيئة شتائية قاسية؛ فإن الولايات المتحدة تجبر الدول الأوروبية على أن تبور ١٥% من الأراضي لكي تبقى أسعار قمحها على ما هي عليه.

وأصبح من آفات الحضارة الغربية نشر المسكرات والمخدرات، وأكل الخنزير وهو حيوان مستقذر يأكل العذرة وينشر الأمراض، وله دهون ضارة، ويسبب الدياثة، وقد حذرت من أكله وزارة الزراعة الأمريكية، وقال الدكتور "جايلورد هاوزر" الملقب بزعيم التغذية في العصر الحديث: "لا يدخل الخنزير في أي نظام صحي".

أما (المسلمون) فلا يشربون الخمور ولا يأكلون الخنزير ولا المستقذرات والخبائث، في حين تأكل بعض الشعوب الشرقية الصراصير والخنافس، حتى أن بعضهم يأكل البراز.

ويدعي الغربيون اليوم زوراً أنهم يطبقّون مبدأ الحرية، ومما يثبت تناقض حريتهم المزعومة: منع المرأة المسلمة في بعض الدول الغربية من لبس الحجاب أو لبس البوركيني (لباس السباحة الساتر).

كما أنهم يمنعون المسلم من الولاية على أسرته، ومن حق التأديب والتوجيه وفق شرائع الإسلام، ويمنعونه من ذبح المواشي ذبحاً إسلامياً صحياً.

بل يمنعون انتقاد عربدة اليهود وإفسادهم وإرهابهم وظلمهم واحتلالهم ونهبهم، ويصنفون ذلك بأنه بغضٌ ومعاداةٌ للسامية ونشرٌ لخطاب الكراهية، مع أن النصارى تاريخياً هم الذين اتهموا اليهود أنهم سبب الوباء الأسود!!

وتجد أنّ سويسرا وهي البلد الذي يصفونه بالحياد وليس فيه إلا ثلاث مآذن فقط؛ ومع ذلك صوّت أكثر شعبه لمنع بناء المآذن.

ويطالب الغرب البلاد الإسلامية بمنح الأقليات ـ ويعنون المفسدين من أهل الزندقة والخوارج والروافض والمرتدين ـ حقوقهم، في حين أن الغربيين أنفسهم لا يعطون المسلمين المغتربين عندهم حقوقهم، ولا يمنحون حتى فئات النصارى من اللاتينيين الكاثوليك والمورمن والإميش حريتهم!!

وشريعة المسلمين وعقيدتهم وأخلاقهم أعلى وأرقى من قوانين الغرب؛ الذي ينبغي أن تكون لديه عقدة النقص لتشليثه ودياثته وخرافاته وتحيزه لليهود.

ويرى العالم اليوم الغربيين المتشدقين بحقوق الإنسان يتغاضون عن مآسي المسلمين في تركستان من قبل الصينيين، وعن مآسي المسلمين في بورما من قبل البوذيين، وعن مآسي المسلمين في فلسطين والعراق وسوريا وغيرها.

كما أن كل ما يوافق الإسلام ويعارض مصالحهم يتم وضعه في قائمة الإرهاب، وفي الغرب أكثر من ١٤٠٠ تنظيم متطرف، منها: النازيون الجدد، وحليقو الرؤوس، والذئاب الغبر، والألوية الحمراء، والصليبيون الجدد، وأصحاب القمصان الزرق. وفيها العديد من المنظمات والحركات السرية الهدامة كـ "الصليب الوردي" و"اليسوعية" و"أصحاب الأيكة" و"البناي برث" ونوادي "اليوغا".

وأما تنظيم "داعش" الذي ينسبونه للمسلمين فهو تنظيم عميل مصنوع، والإسلام بريء منه، وقد شهد بذلك الرئيس الأمريكي "ترمب" حيث قال: "إن الذي صنع داعش هو: أوباما"، وقالت هيلاري كلينتون: إن الذي صنع داعش هو:"أمريكا"، وقال السيناتور الأمريكي جون ماكين: إن الذي صنع داعش هو: "بشار". فهم جميعاً متفقون على أن (داعش) مصنوعة وليست تنظيماً حقيقياً، وإنما يختلفون فيمن صنعها ويقف وراءها.

وقد اجتاحت (الاشتراكية الكافرة) نصف الكرة الأرضية تقريباً، سافكة دماء ٨٠ مليوناً من البشر، وفق إحصاءات إعادة البناء (البرستوريكا) ثم سقطت في النهاية مستسلمة للرأسمالية اليهودية.

ثم تجد أن الغربيين يركزون على اتهام هتلر بالإبادة لأنه قتل اليهود، ويتغاضون عن إبادات "ستالين" و"روزفلت" و"تشرشل" و"ماوتسي تونغ" و"نتنياهو"، وعن الأمريكيين الذين أبادوا وقتلوا بوحشية المدنيين بتدمير دوسلدورف الألمانية ودمروا هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين بالقنابل النووية، ودمروا الصومال والعراق وأفغانستان وغيرها.

وتجد أن الدول الغربية تنحاز دائماً للصهاينة وتعمل على إنهاك اقتصاد الدول الإسلامية وتفتعل قضايا الإرهاب وتشغل المسلمين بها عن الإرهاب الحقيقي وهو "الإسلاموفوبيا".

وتصرح أمريكا في مناسبات كثيرة وعبر عقود طويلة بأن الاعتدال هو الاعتراف بدولة الاحتلال الصهيوني على أرض فلسطين، وأن التشدد هو رفض ذلك.

وتظهر عدوانية الغرب للمسلمين في الحروب الصليبية، والاستعمار العسكري للبلدان الإسلامية الضعيفة، ونهب ثرواتها، وبث إعلام الغزو الفكري والسلوكي، وتدبير الانقلابات على الحكومات الإسلامية، ودعم الانقلابيين الذي يوالون الغرب، والذين ينفذون مخططاته بإضعاف التدين، ونشر الثقافة الغربية، ونبذ التعامل بالتقويم الهجري في البلاد الإسلامية، وتقديم الأفضلية للغات الأجنبية على اللغة العربية، والسعي المستمر في تدبير الحروب الاقتصادية، وإبقاء هيمنة الدولار، الذي أصبح ورقاً ولم يعد له أي تغطية حقيقية بمقابل من الذهب.

كما تعمل الدول الغربية على منع الدول الإسلامية من التفوق العسكري أو الاقتصادي بشتى الطرق، وقد اجتهدوا في محاربة الإعلام الإسلامي المحافظ والمستقل، وإغلاق العديد من قنواته، ودعم الإعلام المنحل دينياً وثقافياً.

كما عمدوا لتشويه ومحاربة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمعات المسلمة، والضغط على الحكومات الإسلامية لتقليص تحكيم القضاء الإسلامي إلى تحكيم القوانين الوضعية المخالفة، وتغيير المناهج التعليمية بما يوافق الأهواء الغربية، وفرض الفساد الأخلاقي والانحلال الفطري باسم الحرية والترفيه ومقاومة ما يسمونه: التشدد والوصاية.

وابتدع الغربيون فكرة (نسبية الأخلاق)، حيث زعموا أنَّ الأخلاق نسبية، وأنّ ما هو أخلاقيٌّ عند قوم ربما يكون غير أخلاقي عند غيرهم، وهي فكرة تُدمر المجتمعات؛ لأنَّ الأخلاق لو كانت نسبية لما استطاع أحد أن يمنع الفساد ويحاكم المفسدين.

كما جاهدوا كذلك لتقليص المشاريع الإسلامية الخيرية الداعمة للعمل الخيري الإغاثي، وفرض مراقبة حساباتها، واتهامها، والضغط لإغلاق الكثير منها.

وكذلك هم يجرّمون الجهاد المشروع ومقاومة الاحتلال والعدوان –كما في فلسطين– ويصنّفونه إرهاباً، في سعي لعزل احتلال فلسطين والمسجد الأقصى عن بقية المسلمين، وجعله مجرد قضية بين دولتين.

كما أنهم مسخوا العلاقات الدولية المعاصرة لتقوم على المصالح المادية للدول، وليس على الحق والمبدأ، وجعلوا حق النقض "الفيتو" حكراً على الدول التي هزمت "هتلر"، ولم يغيروا ذلك منذ عقود، وهو ظلم لبقية شعوب الأرض، ومما يطالب أكثر الدول بتعديله في ميثاق الأمم المتحدة.

وينادي الغربيون بمبادئ ومعايير غير منضبطة لديهم، ويفسرها كل منهم على ما يهوى، ومن أمثلة ذلك: الحشمة، والاعتدال، والمعقولية، والترشيد، والشفافية، والعدالة الانتقالية، والإرهاب.

وقد استخدموا قوة الإعلام في التلاعب بالمصطلحات؛ فيسمون احتلالهم "مطلباً حكومياً"، ويسمون حربهم على الإسلام "مكافحة الإرهاب"، ويسمون إقصاء المنتخبين "قضاءً على الديكتاتورية"، ويسمون دعمهم للصهاينة "نشراً للديمقراطية"، ويسمون غزوهم لبلاد المسلمين "تحريراً"، ويسمون الدياثة "تطوراً"، ويسمون الهيمنة الاقتصادية "استثماراً"، ويسمون احتكارهم "تسويقاً"، ويسمون النهب "تنمية".

وقد قال كبير فلاسفة القرن العشرين "برتراند رسل": "إن نظامي روما وموسكو ـ يعني الرأسمالية والشيوعية ـ لم يجلبا للبشرية إلا الدمار".

والواقع أن التقدم المادي ـ المفتقِد للإيمان ـ هو انحراف يؤدي للكوارث في أية لحظة، كما في الحروب العالمية المجنونة التي قادتها أكثرُ دول العالم تقدمًا ماديًّا في ذاك الوقت.

ولذلك نجد أنّ الدين الوحيد الذي أنشأ حضارةً هو: الإسلام. أما بقية الديانات فقد احتضنتها حضارات؛ فالحضارة الغربية احتضنت المسيحية، والحضارة الهندية احتضنت الهندوسية، في حين أنّ الإسلام قد أسَّس "الحضارة الإسلامية"، وبدخوله للقسطنطينية عام ٨٥٧هـ – ١٤٥٣م انتهت العصور الوسطى المظلمة في أوروبا.

فتاريخ انتهاء العصور المظلمة هو ٨٥٧هـ – ١٤٥٣م، وهو العام نفسه الذي دخل فيه الإسلام أوروبا، وما أنْ دخل الإسلام قلب أوروبا حتى شعَّ فيها نور العلم بعد أن كانت شوارعُ

عواصم أوروبا أشبه بالمراحيض العمومية. والعجيب أنّ الغربيين اليوم يريدونك أن تخجل من مركز القيمة الراقية في دين الإسلام، وأن تستورد منهم القيم الأرضية الدنيوية الساقطة.

إنّ دين الإسلام الحق قد جاء متمماً لمكارم الأخلاق، وعلّم الإنسان أنه يؤدي ما عليه قبل أن يطالب بما هو له، وأن يحرص الفرد على الوصول إلى الحق سواء كان له أو عليه، وبالإسلام يسعى المجتمع إلى التراحم والتكافل والتواصل بدلاً من التناحر والتنافس، ويخلص كل موظف في عمله ويتقنه ولو ضعفت الجهات الرقابية أو عُدمت أو تحيزت، ويأمن المجتمع ويطمئن، ويضع حداً لسعار الشهوة وتطور الجريمة والفساد، وينعم الناس بالإخوة الإيمانية ويتجنبون مهالك النعرات الجاهلية، والتمزق الحزبي والقبلي والطَبَقي، وبالدين ينقاد الشريف للوضيع في النسب؛ كما انقاد كبار قريش لابن أبزى مع أنه مولى.

وبالدين يُجمَع بين دولة العقيدة ودولة الرفاهية، وفي ذلك خير الدنيا والآخرة كما كان عليه المسلمون في قرونهم الأولى، وحضارتهم الباهرة في وقت عصور ظلام أوروبا، وعليه فلو لم يكن الإسلام الحنيف بين أيدينا لكان الواجب علينا أن نبحث عنه في أي مكان، ونشتريه بأي ثمن، ونستمسك به؛ لأنه يحقق السعادة والعدالة والأمن والرخاء، و ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ الاعراف: ١٢٨

قصة بدء الخلق

جاء في وحي القرآن والسنّة النبوية الصحيحة أن عرش الله كان على الماء، وأوّلَ ما خلق الله القلم؛ قال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة (إلى الأبد)، كتب مقادير الخلائق (القدر)، وكُتب في الذِّكْر (اللوح المحفوظ) كل شيء قبل أن يَخلق اللهُ السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن الماء كان عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ". والعرش: سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو سقف المخلوقات.

والله فوق عرشه، وعرش الله هو أعلى ما نعلمه من المخلوقات، وأعظمها، وسقفها، وهو كالقبة على العالم وله قوائم، وتحته الماء.

والكرسي الذي هو بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة؛ محيط بالسموات والأرض، وهن بالنسبة إليه كحلقة في فلاة. والعالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق جل وعلا في غاية الصغر. والكرسي ـ كما قال بعض السلف ـ أمام العرش كالمقدمة له أو تحته كالمرقاة له، والمرقاة: هو ما يُرقى عليه. ولهذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "الكرسي موضع القدمين لله سبحانه وتعالى". وقال السدي: "السماوات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش".

والرب ـ تعالى ـ يَمتنع أن يحتاج إلى شيء من مخلوقاته، لا إلى العرش، ولا إلى غيره، فهو ربّ كل شيء، وهو الحيّ القيّوم، ولا يحيط به شيء من الموجودات؛ إذ هو الظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، فهو غني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، ولهذا لم يكن ما وصف الله به نفسه مماثلاً لصفات المخلوقين، كما لم تكن ذاته كذوات المخلوقين، فهو مستو على عرشه، كما أخبرنا عن نفسه مع غناه عن العرش، وهو الحامل بقدرته العرش وحملة العرش.

خَلْق السماوات والأرض

وإِنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ[١]، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَوْمَ السَّابِعِ[٢]، وَخَلَقَ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ (وَخَلَقَ التِّقْن)[٣]يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ(وَخَلَقَ النُّونَ)[٤]يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ ـ عليه السلام ـ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ[٥].

وجعل اللهُ خلقه وإبداعه وإنعامه على المخلوقين وتربيتهم بنعمه؛ آيات ودلائل على ربوبيته، فهو رب العالمين، تسبّح له وتقدسه السماوات السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وتنزهه وتعظمه وتبجله وَتَكَبِّرُهُ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ.

---

[١] جمهور العلماء على أنها أيام كأيامنا. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن اليوم الواحد من الأيام الستة بألف سنة.

[٢] وهو يوم الجمعة.

[٣] التِّقْنُ: هو ما يقوم به المعاش ويصلح به التدبير؛ كالحديد وغيره من جواهر الأرض. وفي صحيح مسلم: (وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ). ولا ينافيه لأن كلّاً منهما خُلق فيه. وبعضهم فسر المكروه بالشر، وبعضه مثّل للمكروه بالظلام والأمراض والسموم وكل ما يؤلم.

[٤] جاءت رواية (النون) بدل النور، ومعناه: الحوت، ويحتمل أن يكون كلاهما خُلقا يوم الأربعاء، والله سبحانه أعلم.

[٥] رواه مسلم في صحيحه، والنسائي في التفسير في السنن الكبرى وأحمد في المسند ورواه غيرهم، وصححه الشوكاني والألباني، وقد تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعاً، وأعل بعضهم متنه حيث أشكل عليهم أن الله أخبر أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وأن هذا الحديث يقتضي أن مدة تخليق الأرض وحدها سبعة أيام وأنه لم يذكر السماء. ويزيل هذا الإشكال بيان معنى الحديث، حيث ذكرت الأيام السبعة في الحديث، والأيام الستة في القرآن، والحديث يتحدث عن شيء من التفصيل الذي أجراه الله على الأرض، فهو يزيد على القرآن ولا يخالفه. وإن لم ينص على خلق السماء؛ فقد أشار إليها بذكره في اليوم الخامس النور، وفي السادس الدواب، وحياة الدواب محتاجة إلى الحرارة، والنور والحرارة مصدرهما الأجرام السماوية. وخلق الأرض نفسها كان في أربعة أيام كما في القرآن، والقرآن لما ذكر خلق الأرض في أربعة أيام، لم يذكر ما يدل أن من جملة ذلك خلق النور والدواب، ولما ذكر خلق السماء في يومين لم يذكر ما يدل أنه في أثناء ذلك لم يحدث في الأرض شيئاً، والمعقول أنها بعد تمام خلقها أخذت تتشكل بما أودعه الله تعالى فيها، والله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن. ويرجع للفائدة إلى السلسلة الصحيحة للألباني (٢/ ٧٢٦) رقم "١٨٣٣"، وبحث: (إزالة الشبهة عن حديث التربة) لعبدالقادر بن حبيب الله السندي، المنشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ٤٩ صفحة ٢٩.

السماء بناءٌ شديد، وليس (فضاءً)

والسماء مبنية بناء حقيقياً شديداً بلا أعمدة، كما وصفها الله في كتابه بقوله: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ [النبأ: ١٢]، لها كثافة وأبواب وسكان، حتى أنها تصدر أصواتاً من ثقل ما عليها، كما في الحديث: (أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ)[١]. وهي سبع سماوات واحدة فوق الأخرى، وهذا الذي دل عليه القرآن، وليست كما يقول ملاحدة اليوم وغيرهم: إنها فضاء وفراغ، فيسمون الفوق فضاءً، أي: ليس فيه شيء، ويزعمون أنه ليس فيه إلا هذه الكواكب التي تسبح في الفضاء!!

إنّ الناس –مع تطور تقانتهم ومركباتهم النفّاثة– لم يَصِلوا إلى السماء، ولا قريباً منها، بل يقفون عند حدهم، فهم ضعفاء، والسماء عالية بعيدة، وهذه الكواكب والنجوم إنما تسبح في أفلاكها بين الأرض والسماء الدنيا (السُفلى).

لكن الله أعطى بعض الجن قدرة أن يصعدوا فوق بعضهم لكي يصلوا إلى قرب السماء الدنيا لاستراق السمع كما جاء في الحديث[٢]، وحُرِسَت السماء بالشهب، وقيل: زيدت عند بعثة النبي ﷺ، فالذي يسترق السمع من الجن؛ يُرسَل عليه الشهاب، فيأخذه قبل أو بعد أن يلقي ما استرقه إلى من تحته. كما في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن: ٨-٩]

كانت السماوات والأرض رتقاً

والسماوات والأرض كانتا رتقاً، أي: ليس فيهما ثقب، كما بيّنَه أهل التفسير عند قوله تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠] ، وكانتا ملتصقتين، الجميع متصلاً بعضه ببعض متلاصق متراكم، بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق ربنا هذه من هذه، فجعل السماوات سبعاً، والأرض سبعاً، وفصل بين

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٣١٢) وابن ماجه (٤١٩٠)، انظر الصَّحِيحَة (ح/ ١٧٢٢).

(٢) الحميدي (١١٨٥)، والبخاري (٤٧٠١)، وابن ماجة (١٩٤)، وأبو داود (٣٩٨٩)، والترمذي (٣٢٢٣). وعبد بن حميد (٦٨٣)، والبيهقي في "الدلائل" ٢/ ٢٣٨ من طريق عبد الرزاق. والطحاوي في "شرح المشكل" ٣/ ١١٣، وأبو نعيم في "الحلية" ٣/ ١٤٣، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٢٠٣ – ٢٠٤، وفي "دلائل النبوة" ٢/ ٢٣٦ من طرق عن الأوزاعي.

سماء الدنيا والأرض بالهواء، وفتقت السماء أيضاً بما ينزل منها ويعرج فيها، والأرض بما يخرج منها، وأمطرت السماء ماء، وأنبتت الأرض، وجعل الماء أصل الأحياء على الأرض.

المسافات بين السماوات والأرض

وجاء في السُّنة ذكر المسافات بين الأرض والسماء، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَوْ أَنَّ رَصَاصَةً مِنْ هَذِهِ مِثْلُ هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ الْجُمْجُمَةِ أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ لَبَلَغَتِ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ {إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ}[1].

وخمسمائة عام بمسير الإبل المعتاد تعادل تقريباً: (٩) تسعة ملايين كم فقط، وعليها فتقدر المسافة الحقيقية بين سطح الأرض ونهاية السماء السابعة بـ (١٢٦) مليون كم فقط، والله أعلم.

وفي سنن ابن ماجه: أن ما بين السماء والأرض مسيرة ثلاثة وسبعين سنة أو نحوها، وكذا بين كل سماء وسماء. قال الذهبي: "لا منافاة بينهما لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلاً، ونيف وسبعون سنة على سير البريد، لأنه يصح أن يقال بيننا أي بين الشام وبين مصر عشرون يوماً؛ باعتبار سير العادة، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد". والله جل وعلا أصعد رسوله إلى السماء السابعة في ليلة واحدة ـ ليلة الإسراء والمعراج ..

وكذلك ثبت أنه إذا قُبض العبد الصالح فإن روحه يُصعد بها إلى السماء السابعة ثم تعود، وهذا كله يقع قبل أن يُدفن، أي: ما بين موته وتجهيزه والصلاة عليه ووضعه في قبره، فإذا وُضع في قبره أعيدت روحه إليه، وبعدها يوقف في القبر ويُسأل أسئلة القبر.

---

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٩٤) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي في التلخيص ٣٦٤٠. وأخرجه أحمد في المسند (١١/ ٦٨٥٦) و (٦٨٥٧). وأخرجه الترمذي وحسَّنه (٢٥٨٨) ولم يذكر التلاوة.

كروية الأرض وكروية السماء

وجمهور علماء المسلمين وغيرهم منذ القدم يقولون بـ (كروية الأرض) وأنها على شكل كرة وأن السماء محيطة بها، والمعاصرون يقولون: (كروية) وبعض الأقدمين يصفونها بقولهم (كريّة) بتشديد الياء، كما يصطلح المعاصرون بتسمية: (علماء الفلك) بدلاً من (أهل الهيئة) وأهل الهندسة والحساب والتنجيم كما يطلق عليهم الأقدمون.

والسماء كروية تحيط بالأرض من كل جانب، فكما أن الأرض على شكل كرة؛ فإن السماوات السبع أيضاً كذلك، بعضها على بعض كقشور البصلة، والأرض كرة في المركز الوسط، تحيط بها السماء الدنيا من كل جانب، فطبقات السماوات الكروية بعضها فوق بعض كطبقات البصلة، وإحاطة السماء الدنيا بالأرض كمثل إحاطة قشرة البيضة أو قشرة البطيخة بما تحيط به.

قال ابن خرداذبه (ت ٢٨٠هـ) في كتابه «المسالك والممالك»: "صفة الأرض أنها مدوّرة كتدوير الكرة، موضوعة في جوف الفلك، كالمحّة[١] في جوف البيضة، والنسيم حول الأرض وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك، وبنية الخلق على الأرض أن النسيم جاذب لما في أبدانهم من الخفّة، والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل؛ لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجتذب الحديد.

والأرض مقسومة بنصفين بينهما خطّ الاستواء، وهو من المشرق إلى المغرب، وهذا طول الارض، وهو أكبر خط في كرة الأرض، كما أن منطقة البروج أكبر خطّ في الفلك".

وافتتح أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ) كتابه «الجغرافيا» بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، الأرض كروية يحيط بها الماء».

وأورد أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين (ت ٤٣٨هـ) في رسالة في إثبات الاستواء والفوقية فصلاً في تقريب مسألة الفوقية من الأفهام، وقد بيّن فيه كروية الأرض (مطبوع ضمن الرسائل المنيرية) (١/١٨٦) فقال: "فصل: في تقريب مسألة الفوقية من الأفهام بمعنى من علم الهيئة لمن عرفه: لا ريب أن أهل هذا العلم حكموا بما اقتضته الهندسة، وحكمها صحيح؛ لأنه

---

[١] المُحّ (بضم الميم) هو صفار البيض، أما بياض البيض فهو ما يسمى بالزلال.

ببرهان لا يكابر الحس فيه؛ بأن الأرض في جوف العالم العلوي، وأن كرة الأرض في وسط السماء كبطيخة في جوف بطيخة، والسماء محيطة بها من جميع جوانبها، وأن سفل العالم هو جوف كرة الأرض، وهو المركز.

ونحن نقول: جوف الأرض السابعة، وهم لا يذكرون: السابعة، لأن الله تعالى أخبرنا عن ذلك، وهم لا يعرفون ذلك، وهذه القاعدة عندهم هي ضرورية لا يكابر الحس فيها: أن المركز هو جوف كرة الأرض، وهو منتهى السفل والتحت، وما دونه لا يسمى تحتاً، بل لا يكون تحتاً، ويكون فوقاً، بحيث لو فرضنا خرق المركز وهو سفل العالم إلى تلك الجهة لكان الخرق إلى جهة فوق، ولو نفذ الخرق جهة السماء من تلك الجهة الأخرى لصعد إلى جهة فوق.

وبرهان ذلك أنا لو فرضا مسافراً سافر على كرة الأرض من جهة المشرق إلى جهة المغرب وامتد مسافراً، لمشى مسافراً على الكرة إلى حيث ابتدأ بالسير وقطع الكرة مما يراه الناظر أسفل منه، وهو في سفره هذا لم يبرح الأرض تحته والسماء فوقه، فالسماء التي يشهدها الحس تحت الأرض هي فوق الأرض لا تحتها؛ لأن السماء فوق الأرض بالذات؛ فكيف كانت السماء كانت فوق الأرض من أي جهة فرضتها".

وفي كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ص (١/ ١٣٠): "قَالَ أَبُو الوفاء بْن عقيل: ونقلت من كتاب الهندسة: ذكر علماء الهندسة أَن الأَرْض عَلَى هيئة الكرة عَلَى تدوير الفلك، موضعه فِي جوف الفلك كالمُحّة فِي جوف البيضة، وإن النسيم يحيط بها كالبياض من البيضة حول المحة، وأن الفلك يحيط بالنسيم كإحاطة القشرة البيضاء بالبياض المحيط بالمحة".

وفيه ص (١/ ١٨٣): "وذكر أَبُو الْحُسَيْن أَحْمَد بْن جَعْفَر: أَن لا اخْتِلاف بَيْنَ الْعُلَمَاء فِي أَن السماء مثال الكرة، وأنها تدور بجميع مَا فِيهَا من الكواكب، كدور الكرة عَلَى قطبين ثابتين غَيْر متحركين، أحدهما فِي ناحية الشمال، والآخر فِي ناحية الجنوب، ويدل عَلَى ذَلِكَ أَن الكواكب جميعاً تبدو من المشرق فترتفع قليلا عَلَى ترتيب واحد فِي حركاتها وتقادير أجرامها إِلَى أَن تتوسط السماء، ثُمَّ تنحدر عَلَى ذَلِكَ الترتيب كأنها ثابتة فِي كرة تديرها جميعا دوراً واحداً.

وَكَذَلِكَ أجمعوا عَلَى أَن الأَرْض بجميع أجرامها من البرد مثل الكرة، ويدل عَلَيْهِ أَن الشمس والقمر والكواكب لا يوحد طلوعها وغروبها عَلَى جميع من فِي نواحي الأَرْض فِي وقت واحد؛ بَل عَلَى المشرق قبل المغرب، وكرة الأَرْض مثبتة فِي وسط كرة السماء كالنقطة من الدائرة، يدل عَلَى ذَلِكَ أَن جرم كُل كوكب يرى فِي جميع نواحي السماء عَلَى قدر واحد، فيدل عَلَى ذَلِكَ أَن مَا بَيْنَ السماء وَالأَرْض من جميع الجهات بقدر واحد كاضطرار أَن تكون الأَرْض وسط السماء".

وقال المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ) في كتابه: البدء والتاريخ (٢/ ٢٣): "وعند أهل النجوم: الشمس لا تزال طالعة على قوم، وغاربة على قوم، لأنها دائرة على كرة الأرض دوراً مستقيماً".

وحكى ابن الجوزي رحمه الله في كتاب التبصرة ٢/ ١٧٣ قال: قال أبو الحسين بن المنادي: "لا خلاف بين العلماء أن السماءَ على الأرض مثل القبة، وأن العالمَ مثل الكرة، وأنها تدور بما فيه من الكواكب على قطبين ثابتين غير متحركين، أحدهما في ناحية الشمال، والآخر في ناحية الجنوب مطلعَ سهيل، وأن كرةَ الأرضِ مثبتةٌ وسط كرة السماء كالنقطة من الدائرة، والأرضُ على نَمَطٍ واحدٍ من جميع الجهات، والأفلاكُ تدورُ على محورين وقطبين ثابتين، ومَن كان مسكنه وسط الأرض عند استواء ساعات الليل والنهار رأى المحورين والقطبين، ومَن كان في بلاد الشمال يرى القطبَ الشمالي، ومَن كان في بلاد الجنوب يرى القطبَ الجنوبيَّ.

وقال جالينوس: العالم شبه البيضة، والسماءُ موضعُ القشر، والهواء موضع البياض، والأرض موضع المُحّ".

وفي كتاب نزهة الأمم في العجائب والحكم (ص ١٠) قال هشام بن الحكم عن الأرض أنها: "واقفةٌ على مدار واحد من كل جانب، والفلك يحد بها من وجه، فلذلك لا تميل إلى ناحية من الفلك دون أخرى، لأن قوة الأجزاء متكافئة وذلك كحجر المغناطيس في جذبه للحديد، فإن الفلك بالطبع مغناطيس الأرض فهو يجذبها، فهي واقفة في الوسط، وسبب وقوفها في الوسط سرعة تدوّر الفلك ودفعه إياها من كل جهة إلى الوسط، كما إذا أوضعت تراباً في قارورة، وأدرتها بقوة فإن التراب يقوم في الوسط".

وقال الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ص ٤/ ١٦٤): "وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَحْوَالِ الْأَرْضِ أَنَّهَا كُرَةٌ". ثم استدل بأدلة علمية وحجج عديدة من أبرزها:

"الْحُجَّةُ الأُولَى: أنه لو كان طُولُ الْأَرْضِ مُسْتَقِيمًا؛ لَصَارَ جَمِيعُ وَجْهِ الْأَرْضِ مُضِيئًا دُفْعَةً وَاحِدَةً عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَلَصَارَ جَمِيعُهُ مُظْلِمًا دُفْعَةً وَاحِدَةً عِنْدَ غَيْبَتِهَا.

والْحُجَّةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ ظِلَّ الْأَرْضِ مُسْتَدِيرٌ فَوَجَبَ كَوْنُ الْأَرْضِ مُسْتَدِيرَةً؛ لأَنَّ انْخِسَافَ الْقَمَرِ نَفْسُ ظِلِّ الْأَرْضِ عِنْدَ تَوَسُّطِ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ، وَانْخِسَافُ الْقَمَرِ مُسْتَدِيرٌ لِأَنَّا نُحِسُّ بِالْمِقْدَارِ الْمُنْخَسِفِ مِنْهُ مُسْتَدِيرًا، وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْأَرْضُ مُسْتَدِيرَةً.

والْحُجَّةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْأَرْضَ طَالِبَةٌ لِلْبُعْدِ مِنَ الْفَلَكِ، وَمَتَى كَانَ حَالُ جَمِيعِ أَجْزَائِهَا كَذَلِكَ؛ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْأَرْضُ مُسْتَدِيرَةً .. وأَنَّ هَذِهِ التَّضَارِيسَ لَا تُخْرِجُ الْأَرْضَ عَنْ كَوْنِهَا كُرَةً، فلَوِ اتَّخَذْنَا كُرَةً مِنْ خَشَبٍ قُطْرُهَا ذِرَاعٌ مَثَلًا، ثُمَّ أَثْبَتْنَا فِيهَا أَشْيَاءَ بِمَنْزِلَةِ جَارُوسَاتٍ أَوْ شُعَيْرَاتٍ، وَقَوَّرْنَا فِيهَا كَأَمْثَالِهَا فَإِنَّهَا لَا تُخْرِجُهَا عَنِ الْكُرِيَّةِ وَنِسْبَةُ الْجِبَالِ وَالْغِيرَانِ إِلَى الْأَرْضِ دُونَ نِسْبَةِ تِلْكَ الثَّابِتَاتِ إِلَى الْكُرَةِ الصَّغِيرَةِ" انتهى باختصار وتصرف.

ومن الأدلة أيضاً على ذلك: أن أشعة الشمس لا تكون عمودية على كل الأرض في نفس الوقت، وإنما على جزء محدد منها؛ مما يدل على كروية الأرض.

كما أن السفن القادمة من بعيد؛ أول ما يظهر منها أعلاها، ثم يظهر ما تحته شيئاً فشيئاً، وكذلك من على متن تلك السفن يرى أولاً أعالي اليابس الذي يتجه إليه، ثم يظهر له ما تحته شيئاً فشيئاً، فدل ذلك على تحدب الأرض وتكورها.

كما أن الشمس تُرى عند الشروق والغروب في الأفق على مستوى النظر وليس في الأعلى، وهي قطعاً في العلو للناظر إليها من ذلك الأفق، وكذلك تُرى السُحب بعضها في المستوى العُلوي العمودي للنظر، وبعضها أقل من ذلك، وبعضها في الأفق بمحاذاة النظر في شكل نصف كروي إذا نظرنا إليها من كل الجوانب. وهذا يدل على تحدب الأرض وكرويتها.

وَمِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ أَيْضًا يُقَالُ: إِنَّ أَكْمَلَ الْأَجْرَامِ هُوَ الْمُسْتَدِيرُ كَمَا قَالَ فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ الملك: ٣

وهذا إنما يكون فيما يستدير من أشكال الأجسام دون المضلعات من المثلث أو المربع أو غيرهما، فإنَّه يتفاوت لأنَّ زواياه مخالفة لقوائمه، والجسم المستدير (الكروي) متشابه الجوانب والنواحي، ليس بعضه مخالفاً لبعض.

وَعَلَيْهِ، فَلَوْ قُدِّرَ لِسَائِرٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَافْتَرَضْنَا الْأَرْضَ مُسَطَّحَةً كَسَطْحِ الْبَيْتِ أَوِ الْقِرْطَاسِ مَثَلًا، لَكَانَ لِهَذَا السَّائِرِ مِنْ نِهَايَةٍ يَنْتَهِي إِلَيْهَا، وَهِيَ مُنْتَهَى التَّسْطِيحِ أَوْ يَسْقُطُ فِي هَاوِيَةٍ.

وَأَمَّا بِاعْتِبَارِهَا كُرَةً؛ فَإِنَّهُ يُكْمِلُ دَوْرَتَهُ، وَيُكَرِّرُهَا وَلَوْ سَارَ طِيلَةَ عُمُرِهِ لَمَا كَانَ لِمَسِيرِهِ مُنْتَهًى، لِأَنَّهُ يَدُورُ عَلَى سَطْحِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ذلك في الرسالة العرشية في مواضع عدة منها قوله(ص١٤): "وَقَدْ قَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلُ الْقُبَّةِ".

وقال(ص٢١، ٢٢): "فَمِنْ الْمَعْلُومِ بِاتِّفَاقِ مَنْ يَعْلَمُ هَذَا أَنَّ الأفلاك مستديرة كرية الشَّكْلِ، وَأَنَّ الْجِهَةَ الْعُلْيَا هِيَ جِهَةُ الْمُحِيطِ، وَهِيَ الْمُحَدَّبُ، وَأَنَّ الْجِهَةَ السُّفْلَى هُوَ الْمَرْكَزُ، وَلَيْسَ لِلْأَفْلَاكِ إلَّا جِهَتَانِ: الْعُلُوُّ وَالسُّفْلُ فَقَطْ..، مَعَ أَنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ لِلْأَنَامِ، وَأَرْسَاهَا بِالْجِبَالِ، هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ النَّاسُ وَالْبَهَائِمُ وَالشَّجَرُ وَالنَّبَاتُ، وَالْجِبَالُ وَالْأَنْهَارُ الْجَارِيَةُ.

فَأَمَّا النَّاحِيَةُ الْأُخْرَى مِنْ الْأَرْضِ فَالْبَحْرُ مُحِيطٌ بِهَا، وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ الْآدَمِيِّينَ وَمَا يَتْبَعُهُمْ، وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّ هُنَاكَ أَحَدًا لَكَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، وَلَمْ يَكُنْ مَنْ فِي هَذِهِ الْجِهَةِ تَحْتَ مَنْ فِي هَذِهِ الْجِهَةِ، وَلَا مَنْ فِي هَذِهِ تَحْتَ مَنْ فِي هَذِهِ، كَمَا أَنَّ الْأَفْلَاكَ مُحِيطَةٌ بِالْمَرْكَزِ، وَلَيْسَ أَحَدُ جَانِبَيْ الْفَلَكِ تَحْتَ الْآخَرِ، وَلَا الْقُطْبُ الشَّمَالِيُّ تَحْتَ الْجَنُوبِيِّ، وَلَا بِالْعَكْسِ..

كَمَا أَنَّهُ قَوْل أَهْلِ الْهَيْئَةِ وَالْحِسَابِ، فَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْمُنَادَى، وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ، وَأَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ وَغَيْرُهُمْ أَنَّهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ الأنبياء: ٣٣

وقال (ص٢٤): "أَهْلُ الْهَيْئَةِ يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ مَخْرُوقَةٌ إِلَى نَاحِيَةِ أَرْجُلِنَا وَأُلْقِيَ فِي الْخَرْقِ شَيْءٌ ثَقِيلٌ كَالْحَجَرِ وَنَحْوِهِ لَكَانَ يَنْتَهِي إِلَى الْمَرْكَزِ، حَتَّى لَوْ أُلْقِيَ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ حَجَرٌ آخَرُ لَالْتَقَيَا جَمِيعًا فِي الْمَرْكَزِ، وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّ إِنْسَانَيْنِ الْتَقَيَا فِي الْمَرْكَزِ بَدَلَ الْحَجَرَيْنِ لَالْتَقَتْ رِجْلَاهُمَا وَلَمْ يَكُنْ أَحَدُهُمَا تَحْتَ صَاحِبِهِ، بَلْ كِلَاهُمَا فَوْقَ الْمَرْكَزِ، وَكِلَاهُمَا تَحْتَ الْفَلَكِ، كَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَإِنَّهُ لَوْ قُدِّرَ أَنَّ رَجُلًا بِالْمَشْرِقِ فِي السَّمَاءِ أَوْ الْأَرْضِ وَرَجُلًا بِالْمَغْرِبِ فِي السَّمَاءِ أَوْ الْأَرْضِ، لَمْ يَكُنْ أَحَدُهُمَا تَحْتَ الْآخَرِ، وَسَوَاءٌ كَانَ رَأْسُهُ أَوْ رِجْلَاهُ أَوْ بَطْنُهُ أَوْ ظَهْرُهُ أَوْ جَانِبُهُ مِمَّا يَلِي السَّمَاءَ أَوْ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ، وَإِذَا كَانَ مَطْلُوبَ أَحَدِهِمَا مَا فَوْقَ الْفَلَكِ لَمْ يَطْلُبْهُ إِلَّا مِنْ الْجِهَةِ الْعُلْيَا، لَمْ يَطْلُبْهُ مِنْ جِهَةِ رِجْلَيْهِ أَوْ يَمِينِهِ أَوْ يَسَارِهِ".

كما وصف الأرض بالكروية بقوله (ص٣٧): "فَوْقَ نِصْفِ الْأَرْضِ الْكُرِّيِّ".

وقال في مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٠): «اعلم أن "الأرض" قد اتفقوا على أنها كروية الشكل، وهي في الماء المحيط بأكثرها؛ إذ اليابس السدس وزيادة بقليل، والماء أيضا مقبب من كل جانب للأرض، والماء الذي فوقها بينه وبين السماء كما بيننا وبينها مما يلي رؤوسنا، وليس تحت وجه الأرض إلا وسطها، ونهاية التحت المركز؛ فلا يكون لنا جهة بينة إلا جهتان: العلو والسفل، وإنما تختلف الجهات باختلاف الإنسان؛ فعلو الأرض وجهها من كل جانب، وأسفلها ما تحت وجهها، ونهاية المركز هو الذي يسمى محط الأثقال، فمن وجه الأرض والماء من كل وجهة إلى المركز يكون هبوطاً، ومنه إلى وجهها صعوداً، وإذا كانت سماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها؛ فالثانية كروية وكذا الباقي، والكرسي فوق الأفلاك كلها، والعرش فوق الكرسي، ونسبة الأفلاك وما فيها بالنسبة إلى الكرسي كحلقة في فلاة، والجملة بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة».

وقال ابن حزم في «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢/ ٧٨): «إن أحدًا من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم ـ رضي الله عنهم ـ لم ينكروا تكوير الأرض، ولا يحفظ لأحد منهم في دفعه كلمة؛ بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها».

وقال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١/ ١٧): «وأصلح ما رأيت في ذلك وأسدّه في رأيي، ما حكاه محمد بن أحمد الخوارزمي، قال: الأرض في وسط السماء، والوسط هو السّفل بالحقيقة، والأرض مدوّرة بالكلية».

وقال النيسابوري في تفسيره المسمى «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (٤/ ٤٥٨): «قال حكماء الإسلام: قد ثبت بالدلائل اليقينية أن الأرض كروية في وسط العالم، وأن السماء محيطة بها من جميع الجوانب، وأن الشمس في فلكها تدور بدوران الفلك».

وقال الشيخ عطية محمد سالم (ت ١٤٢٠هـ) في كتابه «تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٢/ ٦١): "تنبيه: كان من الممكن أن نقدم هذه النتيجة من أول الأمر ما دامت متفقة في النهاية مع قول علماء الهيئة (الفلك)، ولا نطيل النقول من هنا وهناك، ولكن قد سقنا ذلك كله لغرض أعم من هذا كله، وقضية أشمل وهي من جهتين:

أولاهما: أن علماء المسلمين مدركون ما قال به علماء الهيئة، ولكن لا من طريق النقل أو دلالة خاصة على هذه الجزئية من القرآن، ولكن عن طريق النظر، والاستدلال، إذ علماء المسلمين لم يجهلوا هذه النظرية، ولم تخف عليهم هذه الحقيقة.

ثانيتهما: مع علمهم بهذه الحقيقة وإدراكهم لهذه النظرية، لم يعز واحد منهم دلالتها لنصوص الكتاب أو السنة.

وبناء عليه نقول: إذا لم تكن النصوص صريحة في نظرية من النظريات الحديثة، لا ينبغي أن نقحمها في مباحثها نفياً أو إثباتاً، وإنما نتطلب العلم من طريقه، فعلوم الهيئة من النظر والاستدلال، وعلوم الطب من التجارب والاستقراء، وهكذا يبقى القرآن مصاناً عن مجال الجدل في نظرية قابلة للثبوت والنفي، أو التغيير والتبديل، كما لا ينبغي لمن لم يعلم حقيقة أمر في فنه أن يبادر بإنكارها ما لم تكن مصادمة لنص صريح، وعليه أن يتثبت أولاً.

وقد نبهنا سابقاً على مثل ذلك في قصة نبي الله سليمان مع بلقيس والهدهد حينما جاءه، فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ النمل: ٢٢ ، وقصَّ عليه خبرها مع قومها، فلم يبادر عليه السلام بالإنكار؛ لكون الآتي بالخبر هدهداً، ولم يكن عنده علم به ولم يسارع أيضاً بتصديقه، لأنه ليس لديه مستند عليه، بل أخذ في طريق التثبت بواسطة الطريق الذي جاءه الخبر ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ النمل: ٢٧ ، وأرسله بالكتاب إليهم، فإذا كان هذا من نبي الله سليمان ولديه وسائل وإمكانيات كما تعلم. فغيره من باب أولى.

تنبيه آخر: إذا كان علماء الإسلام يثبتون كروية الأرض، فماذا يقولون في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ الغاشية: ١٧ - ٢٠ ؟

وجوابهم كجوابهم على قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ الكهف: ٨٦ ، أي في نظر العين، لأن الشمس تغرب عن أمة، وتستمر في الأفق على أمة أخرى، حتى تأتي مطلعها من الشرق في صبيحة اليوم الثاني، ويكون بسط الأرض وتمهيدها، نظراً لكل إقليم وجزء منها لسعتها وعظم جرمها. وهذا لا يتنافى مع حقيقة شكلها، فقد نرى الجبل الشاهق، وإذا تسلقناه ووصلنا قمته وجدنا سطحاً مستوياً، ووجدنا أمة بكامل لوازمها، وقد لا يعلم بعض من فيه عن بقية العالم، وهكذا، والله تعالى أعلم" انتهى كلامه رحمه الله.

وإضافة على ذلك: فلو كانت الأرض قرصاً مسطحاً والسماوات فوقها أقراصاً مسطحة وغابت الشمس والقمر دوراناً حول الأرض؛ لخرجا من كونها في علو السماء إلى أسفل وتحت الأرض في السُّفل، والذي نراه ونؤمن به هو ما جاء في كتاب ربنا من أنه سبحانه جعل الشمس والقمر في السماء والعلو عن الأرض.

كما أن عدم رؤية الأجسام من بعيد على أرجاء الأرض مع وجود المناظير الفائقة والتليسكوبات هو بسبب كروية الأرض، وقد قال ابن النفيس (ت ٦٨٧هـ) في كتابه «شرح تشريح القانون لابن سينا» (ص ١١٢): "إنّ تشكُّل الأرض: كرة؛ فالبعيد جدًا مما هو على ظاهر الأرض يَنْسَتِرُ عن الرؤية بحدبة الأرض".

ومن الأدلة أيضاً على كروية الأرض: تحدب واستدارة الأفق واتساعه كما نراه كلما ارتفعنا عن سطح الأرض.

ولو افترضنا أنّ الأرض مسطحة؛ لرؤي دوران النجوم بشكل بيضاوي من أطراف الأرض، وليس بشكل دائري مثالي كما نراه في الواقع.

ولكروية الأرض يختلف منظر حركة دوران النجوم في أفلاكها باختلاف مكان الناظر إليها من آفاق الأرض، فمن كان في خط الاستواء يراها حركة دولابية (تدور رأسياً كإطار العَرَبة)، ومن كان في أحد القطبين الشمالي أو الجنوبي يراها حركة رحويّة (تدور أفقياً مثل دوران الرحى)، ومن كان في الآفاق المائلة عن خط الاستواء ـ بينه وبين القطبين ـ يرى حركتها حمائلية (متقوسة مائلة كحمائل السيوف على الأكتاف).

وسكّان خطّ الاسْتوَاء يرَوْنَ نجوم القطبين على الْأُفق، في حين أن سكان القطب الشمالي لا يرون إلا النجوم الشمالية دون الجنوبية، والعكس كذلك لدى سكان القطب الجنوبي، وهذا بسبب كروية الأرض.

كما أن (الاتصالات الحديثة والمكالمات الجماعية) بين الناس في أطراف الأرض في نفس الوقت تؤكد كروية الأرض، فلو أجرى رجل من مكة مكالمة جماعية في وقت الظهيرة لديه – والشمس فوق رأسه – مع رجل في اليابان (شرق آسيا) ورجل في السنغال (غرب إفريقيا) في نفس الوقت؛ لوجد أن الياباني يخبره بأن الوقت لديه هو آخر النهار وأن الشمس نازلة عند الأفق الغربي، وأن السنغالي يخبره أن الوقت لديه هو أول النهار وأن الشمس بمحاذاة الأفق الشرقي، وهذا يؤكد أن آخر النهار في اليابان هو منتصف النهار في مكة وهو أول النهار في السنغال، وفي نفس الوقت يرى سكان اليابان الشمس بمحاذاتهم عند أقصى الأفق الغربي وظلها طويل نحو الشرق، ويراها الناس في مكة فوق رؤوسهم في وسط السماء بلا ظل، ويراها الناس في السنغال بمحاذاتهم عند أقصى الأفق الشرقي وظلها طويل نحو الغرب. وهذا يبرهن على كروية الأرض؛ فكيف تكون الشمس منخفضة في الأفق الشرقي ونازلة في الأفق الغربي وطالعة فوق رؤوس الناس في وسط السماء في نفس الوقت؟ إلا إذا كانت الأرض كروية.

ولذلك أيضاً تجد في الجهة المقابلة من الكرة الأرضية يكون نفس الوقت تقريباً هو آخر الليل في شرق البرازيل ومنتصف الليل في وسط أمريكا وأول الليل فيما حول جزر هاواي شمال المحيط الهادئ، وهذا لأن الأرض كروية، والشمس في مواجهة النصف الآخر من الأرض ليحدث النهار، والليل في النصف الآخر من الكرة الأرضية لأنه ظل الأرض، فالليل والنهار موجودان في نفس الوقت حول الكرة الأرضية، يتعاقبان باستمرار دائم ويلاحق أحدهما الآخر سريعًا دون توقف

﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ الأعراف: ٥٤ ، في مسار دائري ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ الزمر: ٥ ، فيحيطان بالكرة الأرضية، لأنك لو جئت بشيء ولففته حول كرة فتقول: إنك كوّرت هذا القماش مثلًا أي: جعلته يأخذ شكل الكرة الملفوف حولها، وإذا أردت من إنسان أن يصنع لك شيئًا على شكل كرة فتقول له: خذ هذا وكوّره؛ أي: اصنعه على شكل كرة. فسبحان من أتقن ما صنع!

ولذلك لم يمكن للقائلين بالأرض المسطحة تفسير كل ما ذكر من هذه الظواهر والأدلة، ولا رسم خريطة للأرض بالمساحات والمسافات الصحيحة دون تشوهات، ولا تحديد حجم الأرض، ولا تحديد جهة القطبين الشمالي والجنوبي، ولا تفسير رؤية نجوم في الشمال لا ترى في الجنوب، ونجوم ترى في الجنوب دون الشمال.

بل تجدهم يخالفون الحس والعقل؛ فيعتقدون أن الشمس لا تتدلى للغروب، وأن غروب الشمس والقمر هو ابتعادهما، ويتجاهلون أن الابتعاد يلزم منه التصاغر في الرؤية، ويتجاهلون معنى رؤية الشمس بمحاذاة الأفق، ويتجاهلون تفسير سبب رؤية أشعتها عند غروبها منعكسة على السحب من أسفلها، ويتجاهلون تفسير سبب رؤية شروق الشمس في الأفق من الطوابق العلوية قبل السفلية في الأبراج العالية، ومن قمم الجبال قبل السهول، ويتجاهلون عدم إمكان الوصول إلى حافة أرضهم المسطحة المزعومة، بل منهم من يفر من ذلك فيزعم أن الأرض ليس لها حد، والسحاب عندهم ليس مصدر المطر، والليل عندهم هو حاجز أسود منفصل يحجب الشمس وليس هو ظل الأرض، وشكل الشمس عند بعضهم قرص وليس كروي، والخسوف عندهم سببه أجسام مجهولة تستر الضوء، إلى غير ذلك من الانحرافات والأوهام. ولذلك بيّن العلماء خطأ هؤلاء، ووضحوا الأدلة على كروية الأرض والسماء كما ذكرنا[1].

---

[1] ممن بيّن ذلك من العلماء المتقدمين: ابن حزم في الملل والنحل (٢/ ٧٨)، وابن تيمية في الرسالة العرشية (١٤، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٣٧) وفي مجموع الفتاوى (٦/ ٥٨٧) و (٥/ ١٥٠)، وياقوت الحموي في معجم البلدان (٢/ ٣٧٩)، والنيسابوري في تفسيره (٥/ ٢٠٨)، والغزالي في كتاب معيار العلم (ص ٢)، والفخر الرازي في تفسيره (٢/ ٤٩١ – البقرة: ١٦٤)، وابن القيم في التبيان في أقسام القرآن (ص ١٩)، والمقدسي في مقدمة كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (١/ ٢١)، والذهبي مختصر العلو (ص ٧٣)، والقلشندي في صبح الأعشى (١/ ٤٠٨)، وابن حيان في تفسير البحر المحيط (٧/ ٨٠)، وأبو بكر الصوفي كما جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٣٥٩)، وابن النفيس في شرح كتاب تشريح قانون ابن سينا (ص ١١٢)، وصاحب تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٤/ ٤٠٠ كتاب الصلاة)، وابن خرداذبة في مطلع كتابه المسالك والممالك، والمسعودي في مروج الذهب (١/ ٢٥٣)، وأبو محمد الجويني في رسالة في إثبات الاستواء والفوقية (١/ ٨١)، وابن الجوزي في المنتظم (١/ ١٨٤)، وغيرهم.

حركة الشمس والقمر

والقمر يبدو أوّل ليلةٍ من الشّهر هلالًا في المغرب، ثم يتأخّر كلّ ليلة نحو المشرق منزلًا، ثم يطلع ليلة الرّابع عشر من المشرق قبل غروب الشّمس، بدرًا تامًّا، وليلة ثمانٍ وعشرين يبدو عند الفجر كالهلال من المشرق، وتختلف مطالعه باختلاف منازله.

وفي كل ليلة من السَّنَة يكون للقمر طور مختلف (قدر ما يعكسه من ضوء الشمس) مع خلفيةٍ نجمية مختلفة (ما يظهر من النجوم التي تظهر خلفه في منازله).

فلا يجتمع له ذلك الطور وتلك المنزلة معاً في ليلة أخرى طوال السنة، فهو في كل ليلة في اختلاف في مقدار ما يعكسه من ضوء الشمس مع ما يظهر خلفه من النجوم، فيعرف بذلك الوقت من الشهر، وكذلك الموسم من السنة.

ولا يقع خسوف للقمر إلا في منتصف الشهر القمري حال كونه بدراً.

والشمْسُ تَطْلُعُ مِنْ الْمَشْرِقِ، وَتَغْرُبُ فِي الْمَغْرِبِ، وَتَخْتَلِفُ مَطَالِعُهَا وَمَغَارِبُهَا، عَلَى حَسَبِ اخْتِلَافِ مَنَازِلِهَا.

وعندما تكون الشمس في جهة الشمال؛ يطول النهار ويشتد الحر ويقصر الليل، وعندما تكون في الجنوب؛ يكون عكس ذلك.

ولا يقع كسوف الشمس إلا في آخر شهر قمري.

كان القمر متوهجاً

قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ الإسراء: ١٢ ، أي: أنَّ القمر وهو آية الليل كان مضيئًا ثم مُحي ضوؤه. كما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " كان القمرُ يضئ كما تُضئ الشمس، والقمرُ آيةُ الليلِ، والشمسُ آيةُ النهارِ"[١]. والعجيب أنَّ هذا ما انتهى إليه علم الفلك المعاصر، فقد نشرت وكالة ناسا الفضائية على موقعها الرسمي أن الحقبة الأولى من عمر القمر كان فيها مضيئًا متوهجًا. وقرر أهل الهيئة (الفلكيون) أنّ نور القمر الذي نراه؛ هو من نور الشمس.

[١] أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٤/ ٥١٦ – ٥١٧، وفي تاريخه ١/ ٧٧. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٦٦ إلى الطبري وابن المنذر.

معجزة انشقاق القمر

صورة للشق على القمر

وقد سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يريهم آية؛ فأراهم انشقاق القمر بمكة فلقتين، حتى رأوا حراء بينهما، فستر الجبل فلقة، وكانت فلقة فوق الجبل، فقال رسول الله ﷺ: "اشهدوا، اشهدوا". فقال كفار أهل مكة: سَحَرنا محمد، هذا سِحْرٌ سحَركم به ابن أبي كبشة! وقال بعضهم: لئن كان سَحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس. انْظُرُوا السُّفَّارَ؛[1] فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا ما رأيتم؛ فهو سَحر سَحركم به. فَقَدِمُوا فَسَأَلُوهُمْ فَقَالُوا قَدْ رَأَيْنَا قَدِ انْشَقَّ. فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾

القمر: ١ – ٣.

وقد أشارت مقالات غربية معاصرة إلى أن الصور الحديثة للقمر أظهرت وجود حزام أخدودي يقطع القمر، افترض علماء الفلك أنه نتيجة لانفلاقه قديماً، ثم عودته إلى الالتحام، ويطلق عليه اسم: Rille Lunar.

وذكرَت مخطوطات قديمة من حضارة المايا في أمريكا الجنوبية وقوع انشقاق للقمر بالفعل ـ في نفس وقت وجود النبي محمد ﷺ في مكة ـ وأن أغلب الأمم الموجودة حين ذاك قد رأته، بل إن بعض الشعوب قد غيرت تقويمها الفلكي بسببه، وأن ذلك كان في القرن السابع (من ٦٠٠ إلى ٧٠٠م) حيث حدث تغيير شامل في التقويم في كل من الصين وبابل وكوبان التي توافق حسابات جانيس (وكوبان هي إحدى أشهر مدن حضارة المايا في العصر الحديث من ٣٠٠ إلى ٩٠٠م)، وأن الانشقاق وافق العام ٦٢٣م، وهو يوافق مكوث النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة مباشرة. وبعض هذه المقالات تم حذفها من بعض مواقع شبكة الإنترنت العالمية لإثارتها ضجة كبيرة بأن ما فيها يوافق اعتقاد المسلمين.

[1] يعني المسافرين خارج مكة.

ونحن وإن حُذفت هذه المقالات والحقائق أو حُرّفت أو لم تكن؛ فلن تنقص من إيماننا شيئاً، فيكفينا يقيننا بكلام الله وسُنة نبيه ﷺ.

الأفلاك

(مدارات الشمس والقمر والكواكب والنجوم)

والأفلاك هي مدارات الشمس والقمر والنجوم والكواكب السيارة، وكلها واقعة بين السماء الدنيا المبنية والأرض.

والنجوم سابحة بين السماء والأرض، مُسَخرة ومُسيّرة بأمر الله تعالى.

قال قتادة (ت ١١٧هـ): «الفلَك استدارة بين السماء والأرض تدور بالنجوم مع ثبوت السماء»[(١)].

وَقَالَ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ (ت ١٢٠-١٣٠هـ): «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ فِي فَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ تَدُورُ»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٠): «والأفلاك مستديرة بالكتاب والسنة والإجماع؛ فإن لفظ "الفلك" يدل على الاستدارة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس: ٤٠

قال ابن عباس: «في فلكةٍ كفَلكة المغزل، ومنه قولهم: تفلك ثدي الجارية إذا استدار، وأهل الهيئة والحساب متفقون على ذلك».

وفسّر الإمام مجاهد معنى: (بِحُسْبَانٍ) في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ الرحمن: ٥ فقال: «يَعْنِي: بِحُسْبَانٍ كَحُسْبَانِ الرَّحَى»، وحُسبان الرحى ـ أي قُطبها ـ وهو قائم من حديد تدور عليه الرحى، والرحى: هي المطحنة، والمعنى: أن الشمس والقمر يدوران بحركة دائرية في مثل قطب الرحى، كما قال ابن عطية والقرطبي في تفسيريهما.

---

(١) أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" (١٦/ ٢٦٦) وعبد الرزاق في "تفسيره" (٢/ ٢٣، ٢٤).

(٢) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٦٣٦) (٤/ ١١٥١).

وقال الفرّاء: «حسابٌ ومنازلٌ للشمسِ والقمرِ لا يعدوانها».

فشمل معنى (بِحُسْبَانٍ): هيئة حركتهما الدائرية في الفَلَك، ودقة انضباطها في الزمان بحساب متقن.

وفي سورة الأنبياء قول ربنا جَلّ وعَلا: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٣، وفي سورة يس: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴾ يس: ٤٠.

وفي تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١٨/ ٩٨): "أن الجمع في قوله: {يَسْبَحُونَ} لأن الضمير عائد على الشمس والقمر مع الليل والنهار، وذلك لأن الليل والنهار يَسبَحان أيضًا؛ لأن الليل ظل الأرض، وهو يدور على محيط كرة الأرض، على حسب دوران (استدارة) الأرض، وكذلك النهار يدور أيضًا؛ لأنه يخلف الليل في المحيط".

والإنسان كل يوم يرى بعينيه أنّ الشمس تشرق من جهة المشرق، ثم تظل تجري في فلك السماء حتى تغرب من جهة المغرب، لا يرتاب في ذلك أحدٌ باقٍ على فطرته، كما أنه يجد ويحس يقيناً أن الأرض التي تحته ثابتة مستقرة، لا تنتقل من مكانها.

الأرض في مركز الكون ثابتة لا تدور

والأرض ثابتة في مركز الكون[١]، لا تجري في فلك، ولا تسمى كوكباً[٢]، ولا تدور حول الشمس، ولا حول نفسها، بل توصف بأنها مركز السفل والنزول والقرار.

ونجد أن الكتب السماوية قد خاطبت الناس بما عهدوه وأحسوه من سكون الأرض واستقرارها، وأسندت الأفعال في الحركة إلى الشمس التي تطلع وتغرب وتأفل وتجري في فلك، فالشمس كما يراها الناس تدور حول الأرض، تشرق وتغرب، فيكون اليل والنهار بإذن الله، ومع دورانها فهي ترتفع صاعدة إلى أوجها، ثم هابطة إلى حضيضها، تنتقل في منازل فيحصل بتقدير الله اختلاف الفصول من الصيف والشتاء والخريف والربيع.

قال المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ) في كتابه: البدء والتاريخ (٢/ ٢٣): "وعند أهل النجوم: الشمس لا تزال طالعة على قوم، وغاربة على قوم، لأنها دائرة على كرة الأرض دوراً مستقيماً".

وقال النيسابوري في تفسيره «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (٤/ ٤٥٨): «قال حكماء الإسلام: قد ثبت بالدلائل اليقينية أن الأرض كروية في وسط العالم، وأن السماء محيطة بها من جميع الجوانب، وأن الشمس في فلكها تدور بدوران الفلك».

---

[١] للاستزادة والتوسع العلمي في موضوع ثبات الأرض وعدم دورانها بالأدلة العلمية التي لم تستوعب جميعها في هذا الموضوع المختصر؛ يمكن الرجوع إلى كتاب: (لماذا حركوا الأرض؟) لياسر فتحي وحسن علية، المنشور على شبكة الألوكة alukah.net. وكتاب (تحدي الظن) لهاني أحمد سيد دعلوبه، إصدار مركز الحضارة العربية. وكتاب (الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة) للشيخ حمود بن عبدالله التويجري، وكتابه الآخر (ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق). وغيرها من الكتب المتقدمة والمتأخرة المشار إليها في موضوعات هذا الكتاب.

[٢] قال الشيخ حمود بن عبدالله التويجري في كتابه «الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة» (ص١١٧ ، ١٥٩): «كذَب وافترى على الله تعالى من سماها كوكباً؛ لأن الله تعالى الذي خلقها سماها أرضاً. والكوكب هو النجم، ومحله العلو. والكوكب من وصفه الإضاءة والإشراق والطلوع والأفول، والأرض بخلاف ذلك .. وإنما أطلقوا عليها اسم الكوكب لأنهم زعموا أنها تسير كما تسير الكواكب وتدور على الشمس، وقد تقدم رد هذا وبيان بطلانه».

وفي آيات القرآن الكريم: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ الكهف: ١٧، ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ يس: ٣٨، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾طه: ١٣٠.

وقال يوشع بن نون عليه السلام للشمس: "أنت مأمورة، وأنا مأمور" ثم قال: "اللهم احبسها عليَّ شيئاً".

ونسب سليمان عليه السلام الحركة إلى الشمس وأنها توارت بالحجاب، مع كل ما أتاه الله من العلم والسلطان والملك العظيم.

وكذلك وصفها إبراهيم ـ عليه السلام ـ بأنها أفلت وغابت.

وكان من كلام خاتم الأنبياء محمد ﷺ أحاديث كثيرة أَسندَت الفعل والحركة إلى الشمس، منها قولهﷺ: (طُلُوعِ الشَّمْسِ) (الشَّمْسُ تَطْلُعُ) (فَإِذَا ارْتَفَعَتْ) (حَتَّى تَبْرُزَ) (حَتَّى تَرْتَفِعَ) (حِينَ تَزُولُ الشَّمْسُ) (تَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ) (فَإِذَا دَنَتْ لِلْغُرُوبِ) (إِلَى أَنْ تَغْرُبَ) (حَتَّى تَغِيبَ) (غَرَبَتِ الشَّمْسُ) (غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ).

وقال ﷺ عن الشمس: (وأَنَّهَا كُلَّمَا غَرَبَتْ، أَتَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ فَسَجَدَتْ[1]، وَاسْتَأْذَنَتْ فِي الرُّجُوعِ، فَأُذِنَ لَهَا، حَتَّى إِذَا بَدَا للهِ أَنْ تَطْلُعَ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَعَلَتْ كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ، أَتَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ فَسَجَدَتْ، فَاسْتَأْذَنَتْ فِي الرُّجُوعِ، فَلَمْ يُرَدَّ عَلَيْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ تَسْتَأْذِنُ فِي الرُّجُوعِ فلَا يُرَدُّ عَلَيْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ تَسْتَأْذِنُ، فلَا يُرَدُّ عَلَيْهَا شَيْءٌ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ مِنْ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَذْهَبَ، وَعَرَفَتْ أَنَّهُ إِنْ أُذِنَ لَهَا فِي الرُّجُوعِ لَمْ تُدْرِكْ الْمَشْرِقَ، قَالَتْ: رَبِّ مَا أَبْعَدَ الْمَشْرِقَ، مَنْ لِي بِالنَّاسِ؟، فَيُقَالُ لَهَا: مِنْ مَكَانِكِ فَاطْلُعِي، فَطَلَعَتْ عَلَى النَّاسِ مِنْ مَغْرِبِهَا)[2].

---

[1] ولا يلزم من ذلك أن الشمس تترك مدارها أو تترك فلكها، فهي في كل حين تحت العرش، إذ العرش سقف المخلوقات جميعًا، ولكل مخلوق سجوده الذي يختص به، وعليه يفهم أن للشمس في وقت غروبها عن مكة والمدينة سجود وعبودية خاصة؛ والله تعالى أعلم بكيفيتها.

[2] حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٠١) بتمامه.

ظهور نظرية مركزية الشمس مع ظهور الإلحاد في أوروبا

وقد ظهرت نظرية مركزية الشمس ودوران الأرض مع بداية ظهور الإلحاد في أوروبا عام ١٥٤٣م، ثم وجدَت الدعم السياسي الاستعماري، حيث ظهرت في بداية عصر النهضة في أوروبا التي كانت متخلفة كثيراً عن الحضارة الإسلامية في ذلك الوقت، وأراد ملوك أوروبا التخلص مِن تحكّم رِجال الدين بهم، وأطلقوا عبارات: "الكنيسة ليست مركز الكون" و"إذا كانت الكنيسة على خطأ؛ فلا سمع لهم ولا طاعة".

وكانوا على قناعة أن المجتمع المفرغ من العقيدة سهل الانقياد؛ فظهرت هذه النظرية عام ١٥٤٣م على يد القسيس (نيكولاس كوبر نيكس) بما يعرف بالتعليق الصغير، ثم جاء المنظر الألماني (يوهانز كبلر) بوضع ذلك التعليق في شكل ثلاث قوانين بما يعرف بقوانين كبلر، ثم جاء الإيطالي (جاليليو) ببعض الملاحظات لدعم الفكرة ثم تراجع عنها، ثم جاء (البرت إينيشتاين) لتفسير مركزية الشمس فيما يعرف بالنظرية النسبية.

والعجيب أن نيكولاس كوبرنيكوس صاحب النظرية لم يكن عالماً بالأفلاك وإنما كان قسيساً، وقد اكتشف ديفيد كينج أن كثيراً من النظريات المنسوبة لكوبرنيكوس هي من كتب الفلكي العربي ابن الشاطر (ت ٧٧٧هـ، ١٣٧٥م)، وقد عثر في بولونيا، موطن كوبرنيك (١٤٧٣-١٥٤٣م) على مخطوطات عربية عام (١٩٧٣م)، وثبت منذ عام (١٩٥٠م)أن كوبرنيك كان يأخذ عنها، ويدعي لنفسه ما يأخذ، ومثل هذا القسيس المنتحل لا يؤتمن على علم ولا كتب، ولا يستبعد أن يكون كوبرنيكوس ومن وراءه أخفوا مخطوطات ابن الشاطر – التي لم تطبع وتخرج للناس– وحرفوا بعض ما فيها وقلّبوه.

كما أتى من بعدهم من زوروا الحقائق العلمية بتصاوير مفبركة؛ ادعوا من خلالها رحلتهم وهبوطهم المزعوم على سطح القمر! ولا زال بعض العوام حتى الآن يصدقون ذلك التمثيل!!

الملحدون عظموا الشمس والنار لجعلها مركز الكون

كما أن لاتباع الأهواء الوثنية وتعظيم الشمس والنار والشياطين أثر كبير في تجاهل الحس المشهود، وتجاهل كل أولئك الفلكيين الذين يثبتون مركزية الأرض، وينفون نظرية الدوران حول الشمس، ويشهد لذلك ما ينقله فرديناند هوفر في كتابه "تاريخ علم الفلك" صـ(٣١٣) فيقول: "فلكيو القرن السادس عشر الذين رفضوا فكرة كوبرنيك كانوا كثرةً، وبدلاً من ذكرهم لابد أن نحكم عليهم بالنسيان، وهذا لن يكون إلا العدل". فانظر إلى عدالته الظالمة، وانعدام أمانته، وفجوره في الخصومة!!

كما ينقل فرديناند هوفر أيضاً في كتابه "تاريخ علم الفلك" صـ (١١٠) أن أرسطو ينقل عن فيلولاوس قوله: "إن مكان الشرف لابد أن يحتله الأكثر رفعة، ولكون النار أكثر رفعة من الأرض؛ فإن الأرض تدور حول النار في حركة دائرية". وهو في ذلك يتبع الشيطان إبليس في القياس الفاسد حين أُمر بالسجود لآدم فقال: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ ص: ٧٦، ذلك الشيطان الذي يكره الأرض وترابها الذي خُلِق منها أدم – عليه السلام – فوضع إبليس عرشه على الماء، وأراد أن يتشبه بالخالق سبحانه، فإبليس كالدجال بين أقرانه وأتباعه من الجن والإنس.

ومن العجائب أن أصبح معتقد (دوران الأرض) المزعوم عند كثير من أهل هذا الزمان من المسلّمات التي لا يُنازع فيها، ولعلّ السّر في بذل إبليس كل هذه العناية والرعاية لهذه النظرية؛ هو أن نفي دورانها يهدم كثيراً من نظريات الملاحدة.

ومما يؤكد اتصال أولئك القوم بالشياطين وثقتهم بهم والأخذ عنهم: ما يقوله بيير بوريل (١٦٢٠-١٦٧١م) في كتابه "منطق جديد يثبت تعدد العوالم" صـ (٥٦) حيث يقول: "إذا كان هناك مخلوق يعرف عين الحقيقة بالنسبة لتعدد العوالم ويمكنه الإجابة الكاملة على هذا السؤال؛ فإنهم الشياطين، ولكن كيف يمكننا الحصول على أقوالهم حول هذا الموضوع، إن ذلك من خلال وسائل الاتصال بهم، فإنّ هذه البانز pans والسيليانس syluains والآلهة الأخرى التي كانت تظهر قديماً للناس؛ كانوا شياطين محبوبين.

وفي قصة الساحر فاوست **fauste** قال بأن الشياطين تتجول بين النجوم خلال ثمانية أيام وإنهم يصعدون ٤٧ ألف فرسخ **lieues** (المسافة تساوي ١٨٨٠٠٠ كيلومتر) وإنهم يرون الأرض ومدنها من هذه المسافات الشاسعة.." [١].

فمن ذلك يتبيّن أن هؤلاء المبطلين يخالفون المحسوس، ويخالفون الفطرة، ويخالفون خطاب الكتب السماوية، ويخالفون علماء فلكيين كثر من بني جلدتهم، ويزعمون أن حركة الشمس والنجوم هي حركة ظاهرية فحسب، وليست حقيقية. وكأن الناس –منذ عهد آدم عليه السلام– يعيشون في توهمات فيما يرونه بأعينهم ويدركونه بحسهم.

وهؤلاء المبطلون يعظّمون الشمس والنار والشياطين، ويريدون جعل الشمس مركزاً للكون، ويقولون بفضاء ليس له نهاية، وينفون علو الله على خلقه، وينفون وجود خالق خلق الإنسان بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته وأكرمه وعلمه وهداه النجدين.

بل فوق ذلك كله يؤمن أولئك الملحدون بخرافة نظرية صاحبهم (داروين) في أصل البشر، والتطور البشري المختلَق، وهذه الانحرافات المغلوطة للأسف هي التي أصبحت تسوق لها الحضارة الغربية المادية، والله المستعان على ما يصفون.

---

[١] الكتاب مطبوع باللغة الفرنسية، (Texte mondes des pluralité la prouvant nouveau Discours [du hors est qu'elle ،estoile une terre la et habitées terres des sont astres les que imprimé]: autres et ،fixe st qui soleil le devant tourne se et ciel troisiesme le dans monde du centre .(١٦٥٧ ،[s.n.] Genève: Borel. Pierre par / curieuses très choses

نظرية دروان الأرض تخالف الحس والعقل

كما أن (كيبلر) خالف الحس والعقل في قوانينه التي اعتمدوا عليها في زعم دوران الأرض؛ حيث نجد على الأرض دائماً فصلان (خريف وربيع) أو (شتاء وصيف) أحدهما في النصف الشمالي من الأرض، والآخر في الجنوبي. إلا أن القانون الأول من قوانين كيبلر يفترض أن الشتاء يحصل عندما تكون الأرض على بعد ١٤٦ مليون كم من الشمس، والصيف يحصل عندما تكون الأرض على بعد ١٥٢ مليون كم!! فكيف يكون في الأرض شتاء وصيف معاً مع وجود فارق مسافة ٦ ملايين كم عن الشمس، وفارق زمني ٦ أشهر؛ كما يدعي في قوانينه المزعومة؟! ونحن نعلم أنّ الأرض يجتمع فيها الصيف والشتاء في نفس الوقت، أحدهما في نصفها الشمالي، والآخر في نصفها الجنوبي، وهذا يبطل نظرية كيبلر.

كما أن من يعتقدون دوران الأرض حول الشمس؛ يفترضون أن الأرض تدور حول الشمس بسرعة غير ثابتة وفي مدار إهليجي – والمدار الإهليجي أو البيضاوي يشبه الدائرة التي تم الضغط عليها – وليس دائرياً تماماً!! ولو كانت الأرض تدور في مدار بيضاوي وتخفف سرعتها عند طرفي المدار ثم تزيدها –كما يزعمون– لوقعت ظواهر اضطراب يشاهدها الناس ويحسون بها!! وهذا يدلل على فساد قولهم، مع عدم وجود ما يبرر الأسباب التي تجعل الأرض تخفف أو تزيد من سرعتها المزعومة!

والذين زعموا أن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس؛ زعموا كذلك أن القمر كذلك يدور حول نفسه أثناء دورانه حول الأرض، وهذا باطل يكذبه النظر؛ فلو كانت الأرض تدور حول نفسها والقمر أيضاً يدور حول نفسه في ذات الوقت مع دورانه حول الأرض؛ لتغير منظر وجه القمر حسب زاوية النظر إليه من الأرض، ولظهر منه أجزاء غير الوجه الثابت المقابل للأرض، وهذا لا يحدث في الواقع المشاهد؛ إذ إننا من الأرض لا نرى إلا هيئة واحدة ووجهاً واحداً للقمر.

ولو كانت الأرض تنطلق لتدور حول الشمس بسرعة مائة ألف كيلومتر في الساعة كما يزعمون؛ لذهبت الأرض بسرعتها وتركت القمر في مكانه.

ووفق قوانين المرايا وانعكاس الضوء؛ فإنّ الشمس لو كانت ثابتة في مكانها؛ والقمر يدور حول الأرض؛ لظهرت أطوار القمر كلها في اليوم الواحد، فيظهر محاقاً ثم هلالاً ثم بدراً ثم يعود هلالاً ومحاقاً في نفس اليوم، وليس في كل شهر مرة كما هو الواقع.

ولو كانت الأرض تدور حول نفسها بسرعة ١٦٦٧ كلم في الساعة كما يزعمون؛ لكانت الرياح السطحية للأرض أسرع من الرياح العليا بسبب الاحتكاك وقربها من سطح الأرض، ولكانت مدة الطيران للغرب أقل من الشرق بسبب تعاكس الحركتين، وهو ما لا يحصل.

كما أنّ كل عاقل متأمل يدرِك أنه يجب أثناء خسوف الشمس: أن يظهر ظل القمر على الأرض في بلاد الشرق أولاً؛ ثم يتجه إلى الغرب لو افترضنا أن الأرض تدور حول نفسها.

ولكن ما تم رصده هو أن ظل القمر يظهر على الأرض في بلاد الغرب أولاً، ثم يتجه إلى الشرق، وهذا دليل – لا يقبل الشك – على أن الشمس هي من يتحرك ويدور، وليست الأرض.

ومما يَرِدُ من الإشكالات على أولئك الذين يزعمون ثبات الشمس ودوران الأرض حولها: أنَّ أقصى سرعة لمركبة الفضاء ٢٧،٠٠٠ كيلومتر في الساعة، وأن معدل سرعة دوران الأرض المزعوم حول الشمس هو ١٠٠ ألف كيلومتر في الساعة، فكيف تعود المركبات الفضائية إلى الأرض بسهولة؟ وكيف لا تظهر صور الأرض على أنها مذنب سريع الحركة؟ وكيف تكون سماكة الغلاف الجوي متساوية ومتجانسة؟ حيث يفترض أن تقل من جهة انطلاق الأرض السريع المزعوم وتزيد من الجهة الأخرى!!

ولو كانت هناك جاذبية قوية للشمس – أقوى من جاذبية القمر حسب ما يزعمون – لظهرت تأثيرات جاذبية الشمس على الأرض، مثل المد والجزر؛ حيث إننا نلاحظ حدوث المد والجزر عندما يكون القمر عمودياً على الأرض، وليس الشمس!! فالواقع المحسوس خلاف ما يدّعون.

ومَن تَخبُّط (البرت إينيشتاين) أنه يقول: "إذا دار جرمان أحدهم حول الآخر فمن المستحيل أن نعرف من خلال الرصد أي منهما الذي يدور حول الاخر"!! فكيف يدعي ويجزم أن الأرض هي من يدور حول الشمس؟!

وقد كان السؤال الرئيس في محاكمة جاليليو – الذي زعم حركة الأرض ودورانها حول الشمس تبعاً لكوبرنيك – هو: "لماذا تصر على وجوب حركة الأرض مع عدم وجود مشاهدة فلكية مباشرة تدل على ذلك؟" فإنّ عدم رصد الانحراف النجمي – مع أن حركة الأرض المزعومة في مدار قطره المتوسط ٥٦ مليون كيلومتر لابد أن يؤثر على مشاهدة مواقع النجوم في السماء على الأقل مابين الصيف والشتاء عندما تكون الأرض على طرفي المدار المزعوم – هو دليل نفي قاطع لدوران الأرض حول الشمس!!

فنظرية دوران الأرض تخالف قواعد وقوانين الهندسة والفيزياء؛ ولا تقدم مبرراً معقولاً لخرق هذه القواعد، كما أنها تعارض ظاهر نصوص الوحي وهدي الأنبياء والواقع المحسوس المشاهد.

هل نظريات الفلَك الحديثة مؤكدة ومثبتة؟!

إن دعوى أهل الهيئة أو الهندسة أو المنجمين أو الفلكيين: أن علمهم ثابت بالبراهين الهندسية؛ غير صحيح، إذ لو كان كذلك لما وقع الخلاف العظيم بينهم في تفاصيل علمهم وجُمَله.

وأعظم علماء الفلك الأقدمين هو كلوديوس بطليموس، الذي عاش معظم حياته في الإسكندرية وتوفي قربها نحو عام ١٥٠م، وأهم ما يذكره به العالم: أنه رفض النظرية القائلة بأن الأرض تدور حول الشمس، ويرى أن العكس هو الصحيح، وقد ألّف كتابه (المِجِسطي)، وهو أول كتاب دوّن فيه علم الفلك.

ومن علماء الهيئة من يرى أن الفصول الأربعة (الصيف والخريف والشتاء والربيع) تتشكَّل نتيجة حركة الشمس اللولبية بين مدار السرطان ومدار الجدي أثناء دوران الشمس حول الأرض.

وقد جاء بعد كوبرنيك من رد على تناقضاته، وأقام الحجج العلمية عليه، مثل ركشيولي P. riccioli (١٥٩٨-١٦٧١)، و شاينر scheiner.p (١٥٧٥-١٦٥٠)، وأنطوان ديوسينج deusing Antoine (١٦١٢-١٦٦٦) الذي ألّف كتابه ليبرهن على أن الأرض في مركز الكون، وأن يلغي كل تعقيدات كوبرنيك، من خلال براهينه الطويلة التي يستخلص منها أنه لا ضرورة لتحريك الأرض، ولا لجعل النجوم بهذه المسافات الشاسعة [١].

وهناك الكثير من فلاسفة العلم ممَّن نظروا في حقيقة علم الفيزياء الفلكية في أصل الكون يُقررون أن علم الفيزياء الفلكية في أصل الكون ليس علمًا ثابتاً، ولا يُصنَّف باعتباره علمًا، ومنهم: توماس كون Kuhn Thomas، وبول فايرابند Feyerabend K. Paul، وويلارد كواين Willard Quine، وغيرهم الكثير. ويقول مارتن جارندر: "الأفكار السائدة اليوم في الفيزياء، ليست سائدة؛ لأنها مطابقة للواقع، ولكن لأنها الأسهل والأيسر رياضيًّا".

---

[١] وكتابه بعنوان: mathematica dissertatio mundi Systemate Devero Amestrdam) ١٦٤٣).

فكثير من المعادلات تُقبل فقط لمجرد أنها جماليًّا أفضل من غيرها، حتى يقول بول ديراك: "جمال المعادلة يثبت صحة النظرية أكثر من تجريبها". ونظرية هيرمان فايل **Weyl Herman** في القياس وُجد أنها لا تنطبق على الجاذبية، لكنها قُبلت لأنها جميلة.

كما أن عالم الرياضيات والفيزياء الفلكية – الحاصل على جائزة نوبل– روجر بنروز **Roger Penrose** والذي يعد من أكبر علماء رياضيات اليوم، خرج مؤخرًا ليعترف أنَّ أغلب هذا العلم وهمٌ، وليقرر أنَّ (أغلب علم الفيزياء الفلكية في أصل الكون هو مجرد خيال)، مع أنَّه يومًا ما كان أحد أشهر واضعي النماذج الرياضية والفرضيات في هذا العلم، وقد أصدر بالفعل بعد ذلك كتاب: "السائد والإيمان والخيال في الفيزياء الفلكية المعاصرة"، ومُلخَّص هذا الكتاب هو أن: "أغلب علم الفيزياء الفلكية المعاصرة في أصل الكون لا يمكن أن يكون صحيحًا".

وقد برز مؤخراً في هذا العصر تيار من العلماء الغربيين يُعرفون بـ "علماء النموذج الأرضي المتأخرين" يقولون بالنموذج الأرضي الذي يُثبتون فيه بأدلتهم أن الأرض ثابتة، والشَّمس متحركة.

حساب الزمان والسنين

إن حساب الزمان والسنين لا يستقيم إلا بالأشهر القمرية، منذ خلق الله هذا الكون، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾التوبة: ٣٦

وقال النبي ﷺ: (إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ –الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ–)[1].

واللهُ أخبرنا في كتابه أنه: ﴿جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ يونس: ٥ ، فالهاء في قوله: (وَقَدَّرَهُ) تعود على القمر. ليعلم الناس الأشهر وحساب السنين بآية ظاهرة للشهر يراها جميع الناس؛ وهي القمر.

السَّـنَة القَمرية

والعام يتكون من اثني عشر شهراً قمرياً، والطريقة التي بينها الإسلام في حساب السَّنة والشَّهر والأسبوع واليوم هي أقْوَم طريقة.

فالحول (السَّنَة) لم يكن له حد ظاهر في السماء، فكان لا بد فيه من الحساب والعدد، فكان عدد الشهور الهلالية أظهر وأعم من أن يحسب بسير الشمس، فجُعلت السَّنة اثني عشر شهراً قمرياً هي: محرّم، وصَفَر، وربيع الْأوّل، وربيع الْآخر، وجُمادى الأولى،وجُمادى الآخرة، ورجب، وشَعْبان، ورمَضان، وشَوّال، وذو الْقعْدة، وذو الْحِجّة.

وبهذا يتبين معنى قول الله تعالى: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾يونس: ٥؛ فإن عدد شهور السنَة وعدد السنَة بعد السنَة إنما أصله بتقدير القمر منازل، وكذلك معرفة الحساب؛ فإن حساب بعض الشهور لما يقع فيه من الآجال ونحوها إنما يكون بالهلال.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوادع: ٨٣٢ برقم (٤٤٠٦).

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾البقرة: ١٨٩. فأخبر الله أن هذا هو الدين القيم؛ ليبين أن ما سواه من أمر النسيء وغيره من عادات الأمم ليس قيماً لما يدخله من الانحراف والاضطراب.

فاليوم الطبيعي ليلته من غروب الشمس إلى شروقها، ونهاره من طلوع الشمس إلى غروبها، وأما الأسبوع؛ فهو عددي من أجل الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض ثم استوى على العرش، فوقع التعديل بين الشمس والقمر في الحساب؛ فيكون حساب اليوم والأسبوع بسير الشمس، ويكون حساب الشهر والسنَة بسير القمر، وبهما يتم الحساب المنضبط، فالهلال يكون توقيت الشهر والسنة، وليس شيء يقوم مقام الهلال أبداً؛ لظهوره وظهور العدد المبني عليه وتيسر ذلك وعمومه للناس أجمعين، وغير ذلك من المصالح الخالية عن المفاسد.

فالسَّنَة القمرية : هي اثنا عشر شهرًا قمريًا، والشهرُ القمريُّ يكون حسب رؤية الهلال إما ٢٩ أو ٣٠ يوماً.

وأهل الحساب الفلكي يذكرون أن :

السنَةُ القمريةُ : (٣٥٤) يوماً، وثماني ساعات، و(٤٨) دقيقة، و (٣٦) ثانية!

والسنَةُ الشمسيةُ : (٣٦٥) يوماً، وستُّ ساعات، وتسعُ دقائق، و(٥,٩) ثانية!!. وهي مدّة وصول الشمس إلى النقطة التي فارقتها من نفس البرج.

والتأريخ القمري تأريخ كوني منذ خلق السموات والأرض، والشهر فيه مرتبط بظاهرة كونية ميسرة وواضحة يراها جميع البشر وهي دورة القمر في منازله في ٢٩ أو ٣٠ يوماً كما يراه الناس، وبهذه الرؤية ترتبط العبادة الشرعية.

وأما مواسم الصيف والشتاء والرياح والأمطار ومناسبة الزراعة والصيد وتكاثر النبات والحيوان فتكون بمعرفة مواقيت الأبراج، ومنازل القمر فيها، وطوالع النجوم في قبة السماء، فيهتدي الناس بذلك إلى معرفة أوقات الفصول الأربعة وتغيراتها ومعرفة الاتجاهات كما قال الله جل وعلا: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ النحل: ١٦

يوم (الجُمُعة) أفضل الأيام

قال النبي ﷺ: "أَضَلَّ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِنَا فَهَدَانَا لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ لَنَا تَبَعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ". رواه مسلم والنسائي.

وَكَانَ الْيَهُودُ إنّمَا اختَارُوا السّبْتَ، لِأَنّهُمْ اعْتَقَدُوهُ الْيَوْمَ السّابِعَ، ثم زادوا لكفرهم أَنّ اللهَ اسْتَرَاحَ فِيهِ، تَعَالَى اللهُ عَنْ قَوْلِهِمْ، وظنوا أن بَدْءَ الْخَلْقِ كان في يوم الْأَحَدُ، وَأَنَّ آخِرَ الستة الأيام الّتِي خَلَقَ اللهُ فِيهَا الْخَلْقَ الْجُمُعَةُ.

وَهُوَ أَيْضًا مَذْهَبُ النّصَارَى الباطل؛ حيث اخْتَارُوا الْأَحَدَ لِأَنّهُ ظنوه أَوّلُ الْأَيّامِ فِي زَعْمِهِمْ.

وَقَدْ شَهِدَ الرّسُولُ ﷺ لِلْفَرِيقَيْنِ بِإِضْلَالِ الْيَوْمِ، وَقَالَ كما فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: "إنّ اللهَ خَلَقَ التّرْبَةَ يَوْمَ السّبْتِ". فَبَيّنَ أَنّ أَوّلَ الْأَيّامِ الّتِي خَلَقَ اللهُ فِيهَا الْخَلْقَ: السّبْتَ، وَآخِرَ الْأَيّامِ السّتّةِ إذًا الْخَمِيسُ، والأسبوع عرف بإخبار الأنبياء أن الله خلق هذا العالم في ستة أيام، ثم استوى على العرش يوم السابع.

وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتَانِي جِبْرِيلُ – عليه السلام – وَفِي كَفِّهِ مِرْآةٌ بَيْضَاءُ، فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ يَا جِبْرِيلُ؟، قَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ، يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ – عزّ وجَلّ – لِتَكُونَ لَكَ عِيدًا، وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ، تَكُونُ أَنْتَ الْأَوَّلَ، وَيَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ، قُلْتُ: مَا لَنَا فِيهَا؟، قَالَ: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ، لَكُمْ فِيهَا سَاعَةٌ مَنْ دَعَا رَبَّهُ – عز وجل – فِيهَا بِخَيْرٍ هُوَ لَهُ قَسْمٌ، أَعْطَاهُ اللهُ – عز وجل – أَوْ لَيْسَ لَهُ بِقَسْمٍ، إِلَّا ذُخِرَ لَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، أَوْ تَعَوَّذَ فِيهَا مِنْ شَرِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ، إِلَّا أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ أَعْظَمَ مِنْهُ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ: يَوْمَ الْمَزِيدِ"[1].

[1] أخرجه الطبراني في "الأوسط" بإسناد جيد، وانظر "صحيح الترغيب والترهيب" (٦٩١).

المسلمون أكثر الناس نظراً في الكون

ويعتمد المسلمون على النظر في الكون والشمس والقمر في توقيت عباداتهم الشرعية، وفي الحديث: (إِنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ يُرَاعُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ وَالْأَظِلَّةَ لِذِكْرِ اللَّهِ)[1].

ففي الصلاة اليومية يعتمدون على مراقبة حركة الشمس وزوالها وغروبها وظلالها ومغيب الشفق الأحمر وظهور بياض الفجر الصادق في السماء.

ويعتمدون في توقيت العبادة الشرعية الشهرية؛ كالصيام والحج وحساب حول العام للزكاة على رؤية الأهلة، لقوله ﷺ – لما ذكر شهر رمضان– "إنا أمة أُمّية، لا نكتب، ولا نحسب"[2] أي: لم نكلف في معرفة شهورنا وعباداتنا ومواقيت صومنا وحجنا وزكاتنا وصلاتنا إلى معرفة حساب فلكي ولا كتابة، وإنما ربطت عباداتنا ومواقيتنا بأعلام واضحة في السماء وأمور ظاهرة يراها الناس أجمعون، ويستوي في معرفتها الحاسبون المتعلمون وغيرهم من الأميين.

ثم قال ﷺ:" الشهر هكذا، وهكذا، وهكذا" – وأشار بيديه ثلاثاً يعني: ثلاثين – ثم قال: "وهكذا وهكذا، وهكذا" وقبض إبهامه في الثالثة – يعني: تسعاً وعشرين – يعني مرة يكون ثلاثين، ومرة تسعاً وعشرين.

وقال ﷺ: "فلا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين، صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته"[3].

---

[1] الحديث حسن لغيره كما في "صحيح الترغيب" (٢٤٤). وأورده الألباني في الصحيحة (٣٤٤٠).

[2] «صَحِيح البُخَارِيّ» كتاب الصوم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نكتب ولا نحسب (٢/ ٦٧٥).

[3] أخرجه البخاري برقم (١٩٠٩)، ومسلم برقم (١٠٨١) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه مالك (٧٨١)، وعبد الرزاق (٧٣٠٧)، وابن أبي شيبة (٩١١٦)، وأحمد (٤٤٨٨)، والدارمي (١٨٠٧)، والبخاري (١٩٠٦)، ومسلم (٢٤٦٥)، وأبو داود (٢٣٢٠)، والنسائي (٢٤٤٢).

طباعة التقاويم الحسابية

ولما دعت الحاجة المسلمين إلى التخطيط لمواعيد أعمالهم المستقبلية وسفرهم ولقاءاتهم ومواسم الفصول الأربعة وتغيراتها، وأن تكون ضمن تقويم حسابي مطبوع للسنين القادمة؛ عمدوا إلى طباعة تقاويم حسابية هجرية حتى يخططوا عليها أمور دنياهم.

ومن تلك التقاويم: (تقويم أُمّ القرى) وهو تأريخ قمري حسابي يعتمد على دورة القمر لتحديد الأشهر، وأضافوا في طباعته منازل الشمس والقمر وطوالع النجوم التي جعلها الله علامات يهتدي بها الناس في معرفة تغيرات الطقس والفصول الأربعة ومواسم الزراعة والتكاثر الفطري.

ويعتمد إحداثيات (خط الطول وخط العرض) للكعبة المشرفة في مكة المكرمة أساساً لتقويم أم القرى، كما يعتمد ولادة الهلال فلكياً حال غروب القمر بعد غروب الشمس في مكة المكرمة.

ولو لم يكن للمسلمين تقويم (جدول تأريخ حسابي مستقبلي) مطبوع؛ فإنهم هم يؤرخون بالنظر في السماء، ويهتدون إلى مواعيد فصول السنة بالنظر في قبة السماء إلى طوالع النجوم والبروج، ولهم في ذلك علوم متناقلة وأشعار ومنظومات تؤصل خبرتهم الدقيقة العالية في التأمل في النجوم والاهتداء للاتجاهات ودراسة تغيرات الزمان وأثرها على الأرض.

انتقال الرومان من التاريخ (القمري) إلى (الشمسي)

وقد كان التأريخ عند الرومان قمرياً لكن السَّنَة فيه تتألف من عشرة أشهر فقط، حتى جاء ملك روما (توما الثاني ٧١٦-٦٧٣ق.م) الذي أضاف شهري يناير وفبراير وأصبحت السنَة تتألف عندهم من ٣٥٥ يوماً.

ثم في قرابة سنة ٤٥ قبل الميلاد استعان الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر ببعض الفلكيين الإسكندريين لوضع تأريخ حسابي، يعتمد عليه، ويؤرخ به، فوضعوا له تأريخاً مستنداً إلى السنة الشمسية حيث كانوا يعظمون الشمس، وتمثل تعديلهم في جعل السنة العادية ٣٦٥ يوماً والكبيسة ٣٦٦ يوماً.

التاريخ الشمسي الميلادي

وبعد ميلاد المسيح عيسى بن مريم –عليه السلام– بعدّة قرون تم تحويل التأريخ الروماني الشمسي إلى التأريخ النصراني الميلادي؛ لتكون بدايته من أول السنَة الميلادية نسبة إلى ميلاد المسيح عيسى – عليه السلام – المختلف في تحديده.

ويرى النصارى الغربيون أن بداية هذا التأريخ في اليوم الأول من يناير لأنه يوم ختان المسيح – عليه السلام – حيث يزعمون أن ميلاده – عليه السلام – كان في الخامس والعشرين من ديسمبر (كانون الأول) خلافاً للنصارى الشرقيين الذي يزعمون أنه ولد في السابع من يناير، وغالب العوام يسمون هذا التأريخ بالتأريخ الميلادي، وهو مبني على الحساب وليس منضبطاً، ولذا فإنهم يزيدون عليه أياماً بين حين وآخر، فتكون سنة كبيسة بين سنوات غير كبيسة كما يسمونها.

التعديل الجريجوري لانحراف التأريخ الميلادي

ثم إنه زاد خطؤهم في الحساب حتى بلغ أحد عشر يوماً، فقام بابا النصارى (جوريجوري الثالث عشر) بمحاولة إصلاح الخطأ في هذا التأريخ لعدم مطابقة السنة الحسابية على السنَة الفعلية لمدة دوران الشمس في دائرة الأبراج؛ نظراً لوجود فرق سنوي قدره إحدى عشرة دقيقة سنوياً بين الحساب والواقع الفعلي، ولأن البابا يرى أن موسم عيد الفصح يجب أن يكون في الربيع؛ فقام بإعلان حذف ١١ يوماً من التاريخ في لحظة، وأمر بتعديل تأريخ يوم الرابع من أكتوبر عام ١٥٨٢م وتحويله إلى يوم ١٥ من أكتوبر ١٥٨٢م، وسمي هذا التعديل بـ (التعديل الجوريجوري) ولقي ذلك معارضة من الدول غير الكاثوليكية، لكنه فُرض بالقوة واستقر العمل به في غالب الدول النصرانية.

ولما سقطت حضارة المسلمين وخلافتهم وتسلط أعداء تلك الحضارة؛ فرضوا التأريخ الجريجوري على الناس وسمّوه (الميلادي)، واستخدموا التقانة والتطور في الحساب لطباعة تقويم جريجوري طويل الأمد بالتعديلات البشرية ليتوافق مع دورة الأبراج والفصول الأربعة والاعتدال الربيعي والصيفي، ولرغبتهم أن تتكرر مناسبة ميلاد المسيح (المختلف في تحديدها) لتكون في الشتاء في الخامس والعشرين من ديسمبر، ولرغبتهم أن يوافق عيد الفصح عندهم موسم الربيع دوماً.

ففرضوا نشر هذا التأريخ على الناس مع ما فيه من التغيير والتعديل، فأضل الله النصارى عن الارتباط الصحيح بسنين الكون، فضلوا باتباع أهواء أحبارهم ورهبانهم وبابواتهم وملوكهم، وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل.

وقد حذرَت (نصوصُ الوحي) من اتباع سَنَن وطرق اليهود والنصارى في تحريف الدين والفطرة والشرائع؛ فالعبادات إنما هي بالتأريخ القمري الكوني، فصيام رمضان وهو ركن من أركان الإسلام يكون بالتأريخ القمري، وكذلك الحج وهو ركن من أركان الإسلام، وكذلك الزكاة وهي ركن من أركان الإسلام، ولو أخرج المسلم زكاته بحول التأريخ الشمسي لكان آثماً بتأخير الحق عن مستحقه وعدم اعتبار الحول الشرعي.

وما تقدم يبيّن بوضوح اضطراب النصارى والرومان في تأريخهم، فمن تأريخ قمري تركوه إلى شمسي، ومن عشرة أشهر في العام إلى اثني عشر شهراً، ثم عبثهم بعدد أيام الأشهر حتى أصبح التفاوت بينها من ٢٨يوماً إلى ٣١ يوماً، ومن ٣٥٥ يوماً في السنَة إلى ٣٦٥ يوماً ، ثم حذفهم أحد عشر يوماً يوماً من التاريخ في لحظة، ثم اتخاذهم سَنة كبيسة تكون ٣٦٦يوماً وسنين غير كبيسة، وكل ذلك ليجعلوا سنوات تأريخهم الحسابي الشمسي لتتوافق مع دورة الأبراج التي فيها الفصول الأربعة، وحيث إن دورة الإبراج لا تنتظم بعدد أيام صحيح، وإنما هناك فوارق زمنية بالساعات والدقائق والثواني، فاستمر أولئك في التعديل باستخدام التقانة الحديثة والحواسيب الآلية ليزيدوا وينقصوا في الأيام، دون ارتباط صحيح بشهور الكون وعلاماته الواضحة في السماء.

كلُّ ذلك يبيّن نعمة الله على المسلمين بهدايتهم للتأريخ (القمري)، الذي هو أضبط وأقدم وأصح تأريخ عرفته البشرية، وأوضحها ارتباطاً بالكون وعلاماته السماوية الظاهرة لكل البشر.

نعمة التغاير بين السنة القمرية ودورة الأبراج

ومن نعم الله أن جعل التغاير بين عدد أيام السنَة الكونية القمرية؛ مع عدد أيام دورة الأبراج.

ونتيجة هذا التغاير أن يَنعم الناس بالفصول الأربعة الصيف والشتاء والخريف والربيع في كل شهورهم القمرية على مدى السنين.

فيصومون شهر رمضان مرة في الربيع ومرة في الشتاء وأخرى في الصيف أو الخريف، ويتيسر الحج على الناس في غير الصيف أو الشتاء لمن لا يقدر على الحر أو البرد، وهكذا تتنوع الفصول والمواسم في سائر الشهور القمرية.

النجوم والبروج

وجاء في القرآن الكريم والسُّنّة المشرفة: أنّ اللهَ جَعَلَ النُّجُومَ زِينَةً لِلسَّمَاءِ الدنيا، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، وجعل في السَّمَاءِ بُرُوجاً. والنُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ[1].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنيَا بِزِينَةٍ ٱلكَوَاكِبِ ﴾ الصافات: ٦، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الملك: ٥، وقال جل وعلا: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ النحل: ١٦، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ الحجر: ١٦، وقال الله جل وعلا: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ البروج: ١.

والبروج في تفسير جمعٍ من العلماء هي: مجموعة أو تشكيلات متقاربة من النجوم الظاهرة، حيث يشاهد في السماء (اثنا عشر برجاً).

تكمل خلال سنة وعشرة أيام وأجزاء من اليوم تقريباً دورتها حول الأرض، ويكون تخيل هذه الأبراج على صورة حيوان أو صورة آلة في رؤية العين؛ فسميت كل مجموعة باسم تلك الصورة التي هي عليها.

وهي منازل تمر فيها الشمس في دورتها السنوية، وتتشكل خلال هذه الدورة الفصول الأربعة.

فمدة زمان الربيع تكون بسير الشمس في ثلاثة أبراج وهي: الحمَل والثور والجوزاء.

ومدة زمان الصيف مسير الشمس في ثلاثة أبراج هي: السرطان والأسد والسنبلة.

ومدة زمان الخريف مسير الشمس في ثلاثة أبراج هي: الميزان والعقرب والقوس.

ومدة زمان الشتاء مسير الشمس في ثلاثة أبراج وهي: الجَدْي والدَلْو والحوت.

وقد أشار بعضهم لها على الترتيب فقال:

---

[1] أي: أن النجوم ما دامت باقية، فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة، وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت.

حَمَلَ الثَّوْرُ جَوْزَةَ السَّرَطَانِ... وَرَعَى اللَّيْثُ سُنْبُلَ الْمِيْزَانِ

وَرَمَى عَقْرَبٌ بِقَوْسٍ لِجَدْيٍ ... نَزَحَ الدَّلْوُ بِرْكَةَ الْحِيْتَانِ

وسميت هذه المنازل بالبروج – وهي القصور العالية – لأنها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها، واشتقاقها من التبرج؛ وهو الظهور، لأن أصل معنى البرج: الأمر الظاهر، من التبرج، ثم صار حقيقة في العرف للقصر العالي؛ لظهوره، ويقال: لما ارتفع من سور المدينة برج أيضًا.

والشمس في دورانها حول الأرض تكون ظهرت أمام جميع هذه البروج، كل برج في شهر وزيادة أجزاء من اليوم، حتى تتم الأبراج دورتها في الفلك حول الأرض، ويسير القمر أمام الأبراج في ثمانية وعشرين يومًا وكسور.

فكل برج له منزلتان وثلث، ولكلّ فصل من الفصول الأربعة سبعة منازل.

ولا يظهر على القبة السماوية في الليل إلا ستة من هذه البروج، يغيب واحداً منها كل شهر ويطلع مقابله برج جديد. والستة الأخرى تكون في الجهة المقابلة للكرة الأرضية حيث يكون النهار، فإن الشمس بضوئها الوهاج تحول دون رؤية البرج الذي يقع خلفها تماماً، ولذلك يقولون حينئذ أن الشمس قد نزلت في ذلك البرج.

ويستدلون على نزول الشمس في أحد البروج من خلال مراقبة البرج المقابل له تماماً على فلك البروج (١٨٠ درجة) أو ما يسمى بالرقيب. فرقيب الحمل هو الميزان وكذلك العكس، ورقيب الثور هو العقرب، وهكذا لبقية الأبراج.

وعلى ذلك فإنه يمكن تحديد منزل الشمس في أي وقت من خلال معرفة البرج الرقيب الذي يطلع من جهة الشرق عند غياب الشمس، أو الذي يسقط في الغرب عند شروق الشمس.

معرفة الاتجاهات من خلال النجوم والبروج

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ الأنعام: ٩٧

وعلَّم الله البشر التأمل والاهتداء بالنجوم، وكان لشعوب عديدة وللعرب خصوصاً معرفة واسعة بأسماء النجوم، وطلوعها وغروبها وَآكَدُها الْقُطْبُ الشَّمَالِيُّ..، دعاهم إلى ذلك اعتمادهم عليها في سيرهم براً وبحراً، وساعدهم على ذلك: صفاء جوهم.

وكان يتم تحديد جهة الشمال في الليل عبر (النجم القطبي) الذي يقع فوق القطب الشمالي تماماً ويبدو للمشاهد من شمال الكرة الأرضية ثابتاً لا يتحرك كبقية النجوم.

ويستدل على النجم القطبي من بعض الكوكبات القريبة منه.

وعرف العرب نجم (الشِعرَى) وهو أسطع نجم في السماء بعد كوكب الزهرة مباشرة، وكان يدلهم مع نجوم أخرى للطريق إلى اليمن حيث كانت رحلة الشتاء، ولذلك كان واقع عبادتهم هذا النجم اليماني من حيث المنفعة في الاهتداء به إلى طريق اليمن، ولا يجتمع نجم شامي ونجم يماني في وقت واحد.

أما اتجاه الشرق أو الغرب : فيمكن تحديدهما في النهار من خلال مراقبة الشمس؛ فهي تطلع من اتجاه الشرق وتغيب في اتجاه الغرب بشكل تقريبي.

ويمكن تحديد اتجاهي الشرق والغرب في أي مكان على سطح الأرض بشكل دقيق عند الاعتدالين الربيعي والخريفي؛ حيث تطلع الشمس من الشرق وتغيب في الغرب تماماً.

أما في الليل فيمكن تحديد اتجاه الغرب من مراقبة القمر، وكذلك البروج والكواكب، فالقمر كالشمس يتحرك في اتجاه الغرب بشكل تقريبي إلى أن يغيب فيه.

ويمكن استخدام دائرة البروج للاستدلال على الشرق والغرب، حيث إن الخط الواصل بين ثلاثة بروج متجاورة يشير إلى اتجاه الشرق والغرب بشكل تقريبي، كما يمكن تحديد الشرق من الغرب بعد ذلك من ترتيب تلك البروج لمن يعرفها.

العِلم المحمود في النجوم والأبراج

والعلمُ المحمودَ في النجوم بيّنه الخطيب البغدادي –رحمه الله– (ت ٤٦٣هـ) في كتابه «القول في علم النجوم» وجاء فيه ما ملخصه: "الْعِلْمُ بِأَسْمَاءِ الْكَوَاكِبِ، وَمَنَاظِرِهَا، وَمَطَالِعِهَا، وَمَسَاقِطِهَا، وَسَيْرِهَا، وَالاهْتِدَاءُ بِهَا، وَانْتِقَالُ الْعَرَبِ عَنْ مِيَاهِهَا لأَوْقَاتِهَا، وَتَخَيُّرُهُمُ الأَزْمَانَ لِنِتَاجِ مَوَاشِيهَا، وَضِرَابِهِمُ الْفُحُولَ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِالأَمْطَارِ عَلَى اخْتِلافِهَا، وَاسْتِدْلالُهُمْ عَلَى مَحْمُودِهَا وَمَذْمُومِهَا، وَالتَّوَصُّلُ إِلَى جِهَةِ الْقِبْلَةِ بِالنُّجُومِ، وَمَعْرِفَةُ مَوَاقِيتِ الصَّلاةِ، وَسَاعَاتِ اللَّيْلِ بِظُهُورِهَا وَأُفُولِهَا..، فَالْعَرَبُ تَعْرِفُ أَوْقَاتَ الْمَطَرِ وَالرِّيَاحِ وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ بِمَطَالِعِ النَّجْمِ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ فَضِيلَةٌ بَيِّنَةٌ، وَإِذَا رَأَوُا السَّحَابَ عَرَفُوا: هَلْ هِيَ ذَاتُ مَطَرٍ أَمْ لا؟ وَهَلْ مَطَرُهَا كَثِيرٌ أَوْ غَيْرُ كَثِيرٍ؟ وَهَلْ هِيَ مِمَّا قَدْ أَهْرَاقَ مَاءَهُ أَوْ مَاؤُهُ فِيهَا؟

فَكَمْ مِنْ قَوْمٍ أوشكوا على الضياع والْهَلاكِ، فَأَنْجَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالاسْتِدْلالِ بِنَجْمٍ أَمُّوهُ وَوَجْهٍ قَصَدُوهُ، وَبِهِ يُعْرَفُ وَقْتُ النِّتَاجِ، وَوَقْتُ تَأْبِيرِ النَّخْلِ، وَوَقْتُ بَيْعِ الثَّمْرَةِ، وَإِقْبَالُ الْخَيْرِ وَإِدْبَارِهِ، وَأَمَارَاتُ الْخِصْبِ وَالْجَدَبِ، وَعَلامَاتُ السَّحَائِبِ الْمَاطِرَةِ وَالسَّحَائِبِ الْمُخْلِفَةِ، وَالْبُرُوقِ الصَّادِقَةِ وَالْكَاذِبَةِ، وَبِهِ يَنْتَقِلُونَ عَنِ الْمَحَاضِرِ إِلَى الْمِيَاهِ، وَعَنِ الْمِيَاهِ إِلَى الْمَحَاضِرِ.

وإِنَّمَا جَاءَ التَّغْلِيظُ فِي هَذَا ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَزْعُمُ أَنَّ ذَلِكَ الْمَطَرَ الَّذِي جَاءَ عِنْدَ سُقُوطِ النَّجْمِ هُوَ فِعْلُ النَّجْمِ، وَلا يَجْعَلُونَهُ سُقْيًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ كَانَ وَافَقَ سُقُوطَ النَّجْمِ. وَأَمَّا مَنْ نَسَبَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَجَعَلَهُ وَقْتًا كَمَوَاقِيتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ كَانَ ذَلِكَ حَسَنًا.

وقد صَلَّى النبي ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ، عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ (مطر) كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ لَهُمْ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ[(١)]».

[(١)] أخرجه مالك (٥١٦)، وعبد الرزاق (٢١٠٠٣)، والحميدي (٨٣٢)، وأحمد (١٧١٦١)، والبخاري (٨٤٦)، ومسلم (١٤٣)، وأبو داود (٣٩٠٦)، والنسائي (١٨٤٧).

منذ القدم يمكن رصد الخسوف والكسوف قبل حدوثهما

وقال الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ في كتابه «القول في علم النجوم» (ص ١٦٨):

"فإِذَا أَنْفَدَ النَّاظِرُ فِيه (يعني علم الحساب الفلكي) عُمُرَهُ بِإِسْهَارِ اللَّيْلِ، وَشَغَلَ الْقَلْبَ عَنِ الْمَطْعَمِ، وَالْمَشْرَبِ، وَاللَّذَّاتِ، وَالْعَمَلِ لِلدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَتَبَاعَدَ مِنَ اللَّهِ، وَرَسُولِهِ، وَمِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، كَانَ عُرْفُهُ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ، وَزُبْدَتُهُ الَّتِي مَخَضَ عَنْهَا عِلْمَ كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مَتَى يَكُونُ؟ وَفِي أَيِّ وَقْتٍ يُحْدَثُ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؟ وَمِقْدَارُ مَا يَكْسَفُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَوَقْتُ الانْجِلاءِ؟ وَهَذَا عِلْمٌ لا يَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، ولا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ، وَإِنَّمَا الْكُسُوفُ شَيْءٌ قَدَّرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِمَسِيرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، فَيَكُونُ بِاجْتِمَاعِهِمَا أَوْ تَقَابُلِهِمَا، وَلَيْسَ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْلَمْ وَقْتَ الْكُسُوفِ حِينَ يَكُونُ مِنْ عَيْبٍ وَلا نَقْصٍ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْعَيْبُ فِي الْجَهْلِ بِمَا تَعْلَمُهُ الْعَرَبُ مِنْ أَمْرِ النُّجُومِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ".

نفي المسلمين خرافات الأبراج

قالَ قَتَادَةُ: في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ الملك: ٥: "خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: جَعَلَها زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فيها بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ ما لا عِلْمَ لَهُ بِهِ"[١].

وقال الخطيب البغدادي –رحمه الله– في كتابه «القول في علم النجوم»: "فَإِنِ اسْتَزَلَّهُ الشَّيْطَانُ، وَأَطْمَعَهُ فِي الْقَضَاءِ وَالأَحْكَامِ، وَاعْتَقَدَ فِي الْكُسُوفِ أَنَّهُ لِمَوْتِ أَحَدٍ أَوْ حَيَاتِهِ أَوْ حُلُولِ حَادِثَةٍ وَوُقُوعِ جَائِحَةٍ، فَقَدْ عَقِلَهُ الشَّيْطَانُ بِالْغُرُورِ، وَقَطَعَ أَسْبَابَهُ مِنَ الدِّينِ، لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَأْثَرَ بِالْغَيْبِ دُونَ أَنْبِيَائِهِ وَمَلائِكَتِهِ، إِلا مَا أَطْلَعَهُمْ عَلَيْهِ .. وَإِنَّ أُنَاسًا جَهَلَةً بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى قَدْ أَحْدَثُوا فِي هَذِهِ النُّجُومِ كِهَانَةً: مَنْ أَعْرَسَ بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا، كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَمَنْ سَافَرَ بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا، كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَعَمْرِي مَا مِنَ النُّجُومِ نَجْمٌ إِلا يُولَدُ بِهِ الطَّوِيلُ وَالْقَصِيرُ، وَالأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ، وَالْحَسَنُ وَالذَّمِيمُ".

ولما أحدثه الناس من الخرافة والضلال وادعاء علم الغيب والحظ في النجوم والأبراج واعتقاد تأثيرها وتسبيبها؛ فقد جاءت الأحاديث النبوية بالتحذير من ذلك.

ومن هذه الأحاديث:

(مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ)[٢]، (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي فِي آخِرِ زَمَانِهَا ثَلَاثًا: إِيمَانًا بِالنُّجُومِ، وَحَيْفَ السُّلْطَانِ، وَتَكْذِيبًا بِالْقَدَرِ)[٣]. (أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ)[٤]. (إِذَا قَضَى اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟، قَالُوا: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. قَالَ: وَالشَّيَاطِينُ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ، فَيَسْمَعُ مُسْتَرِقُ السَّمْعِ الْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ،

---

[١] رواه البخاري معلقاً: كتاب بدء الخلق، باب في النجوم: ٦١٤.

[٢] صحيح؛ أخرجه أحمد (٢٠٠٠ و ٢٨٤٠)، وأبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وعبد بن حميد (٧١٤)، والطبراني (١١٢٧٨)، والبيهقي في الشعب (٥١٩٧).

[٣] رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٤٢/١) وأبو يعلى (٤٥٥/١٣) والروياني (٣٠٠/٢) والداني في السنن الواردة في الفتن (٦١٩/٣) والحديث صحيح لغيره كما في السلسلة الصحيحة للألباني (١١٢٧).

[٤] أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة (٢/ ٦٤٤) برقم (٩٣٤).

ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ الْمُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقَهُ، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ إِلَى الَّذِي يَلِيهِ ، إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ ، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْأَرْضِ ، فَتُلْقَى عَلَى فَمْ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا؟، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ، الَّتِي سُمِعَتْ مِنْ السَّمَاءِ، فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ، فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ)[1]

[1] الحميدي (١١٨٥)، والبخاري (٤٧٠١)، وابن ماجة (١٩٤)، وأبو داود (٣٩٨٩)، والترمذي (٣٢٢٣). وعبد بن حميد (٦٨٣)، والبيهقي في "الدلائل" ٢/ ٢٣٨ من طريق عبد الرزاق. والطحاوي في "شرح المشكل" ٣/ ١١٣، وأبو نعيم في "الحلية" ٣/ ١٤٣، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٢٠٣ – ٢٠٤، وفي "دلائل النبوة" ٢/ ٢٣٦ من طرق عن الأوزاعي.

الدراسات الحديثة ترفض ربط الخرافات بالأبراج

أما التجارب والدراسات العلمية الحديثة حول ارتباط موعد ولادة الإنسان بصفاته وشؤون حياته؛ فإنها تبين خرافة ربط صفات الإنسان بقراءة الطوالع والأبراج والتنجيم، حيث إن الدراسات التي قارنت بين مجموعات الأشخاص ممن ولدوا في أزمان متشابهة لم تظهر أية ارتباط بين صفاتهم بعد المقارنة على المدى البعيد، ولا حتى التوائم الذين تجمعهم العوامل الجينية الوراثية، وعوامل التنشئة، ووقت الولادة.

ومن أشهر التجارب المجراة عن علاقة الأبراج بالصفات الشخصية: تجربة العالم (شون كارلسون) سنة ٢٠٠٨ المنشورة في مجلة (nature)، التي حددت بدقة مواعيد ولادة ١٠٠ شخص اختيروا للتجربة، وأشكال النجوم في أوقات ولادتهم، وقارنتها بنبوءات التنجيم عن شخصياتهم. وكذلك التجربة المنشورة في مجلة differences individual and personality عام ٢٠٠٦، وكلتاهما لم تخرجا بأي ارتباط بين الصفات ومواعيد الولادة.

إلا أن بعض (عوامّ الناس) ينخدعون بحيل المنجمين ويرونها صادقة فيما يخص حياتهم؛ حيث يلجأ المنجمون عادة إلى توقعات فضفاضة يمكن تطبيقها بشكل ما على أغلب الناس، ويتجنبون ذكر التفاصيل أو ما يزيد من قابلية النبوءة للتكذيب، ويساعدهم في إقناع بعض الناس على تقبل هذه الادعاءات عوامل نفسية عند الإنسان تجعله يميل إلى إسقاط قول المنجمين على نفسه، رغم أن الكلام قد يكون عامًا وينطبق على الكثيرين، وهذا ما يعرف بـ (تأثير فورير)، نسبة إلى عالم النفس الأمريكي (بيرتام فورير) الذي أجرى تجربة على طلابه لاختبار هذا التأثير، فوزع على كل منهم بطاقة تحمل ١٤ نقطة من المفترض أنها تحاول وصف شخصية كل منهم، ثم طلب منهم تقييم دقة هذا الوصف، فكان متوسط التقييم ٤,٣/٥، أي أن أغلبهم شعر أن النقاط المكتوبة تصفه تمامًا، لكن المفاجأة كانت أنهم تلقوا جميعًا نفس البطاقة!

كما يعرف هذا التأثير أيضاً بـ (تأثير بارنوم) نسبة إلى الاستعراضي الأمريكي الشهير (ب. ت. بارنوم) الذي اشتهر بمقالته: "لدينا شيء ما، لكل واحد من الأشخاص".

المواسم والفصول في مَنازل القمر

وقد تميّز المسلمون منذ القدم في إبداع التأمل في السماء والأرض وفق نصوص الوحي الصادق وبعيداً عن الخرافات والتخرص بغير علم، وحفظوا ما يحل عادة في وقت ظهور النجوم والأبراج في سماء الجزيرة العربية من تغير الطقس والمناخ بمشيئة الله وقدره، وكل مسلم يعلم أن الله ـ جل وعلا ـ هو خالق كل شيء، وهو مسبب الأسباب وجاعل النجوم علامات، يهتدي الناس بها في معرفة الاتجاهات وأوقات المواسم وفصول الطقس والزراعة والحصاد والرعي وتكاثر البهائم وهجرتها والصيد في البر والبحر في كل إقليم بحسبه وما يكون من الأحوال التي تصاحب ظهور هذه النجوم بمشيئة الله وتقديره.

وقسّم العرب حركة القمر السنوية داخل حزام أو شريط أو دائرة الأبراج إلى ٢٨ منزلاً هي خير دليل لحركة حياتهم والاهتداء بها في مواعيد الزراعة وحصاد المحاصيل، وصيد البر والبحر والطير في مواسم هجرة وتكاثر تلك الدواب، ومواسم الأمطار والجفاف، ومواقيت المد والجزر، ومواسم فيضان مياه الأنهار، ومن خلالها كانوا يحددون مواعيد حروبهم وغيرها.[١]

وكل منزل منها يمثل منزلة وفسحة ينزل بها القمر ليلة واحدة، وتنزل الشمس في كل واحدة ١٣ يوماً، وكل منزلة منسوبة لنجم أو مجموعة نجوم تمثلها تكون مشاهدة في هذا الجزء من القبة الفلكية.

وَهِيَ:

الشَّرَطَانُ، وَالْبُطَيْنُ، وَالثُّرَيَّا، وَالدَّبَرَانُ، وَالْهَقْعَةُ، وَالْهَنْعَةُ، وَالذِّرَاعُ، وَالنَّثْرَةُ، وَالطَّرْفُ، وَالْجَبْهَةُ، وَالزُّبْرَةُ، وَالصَّرْفَةُ، وَالْعَوَّاءُ، وَالسِّمَاكُ، وَالْغَفْرُ، وَالزُّبَانَى، وَالْإِكْلِيلُ، وَالْقَلْبُ، وَالشَّوْلَةُ، وَالنَّعَائِمُ، وَالْبَلْدَةُ، وَسَعْدُ الذَّابِحُ، وَسَعْدُ بُلَعَ، وَسَعْدُ السُّعُودِ، وَسَعْدُ الْأَخبِيَةِ، وَالْفَرْعُ الْمُقَدَّمُ، وَالْفَرْعُ الْمُؤَخَّرُ، وَبَطْنُ الْحُوتِ.

فمنازل القمر أو الأنواء وطوالع النجوم التي تظهر في السماء فإنما هي علامات ومواقيت، والله خالقها وهو مسبب الأسباب، ولا يكون شيء إلا أن يشاء الله سبحانه وتعالى وبتقديره جل وعلا.

---

[١] ينظر: اليانع في البروج والطوالع، لعبدالله أبو عباة. ودليل الساري والمزارع في معرفة البروج والطوالع لعبدالعزيز آل عبدالله.

وما يكون من أحوال الطقس والفصول والمواسم في نصف الكرة الأرضية الشمالي؛ قد يختلف في نفس الوقت عما يكون في نصفها الجنوبي.

وفيما يلي نذكر أمثلة للمنازل التي تظهر نجومها أو أنواؤها بانتظام في سماء جزيرة العرب:

الإِكْلِيل

الإكليل هو أول أنواء فصل الشتاء، وهو رأس العقرب، ثلاثة كواكب زهر مصطفّة. ومدته (١٣ يوماً) ووافقوا بدايته حسابياً[١] في (٧ ديسمبر)، وقالوا: إذا طلع الإكليل بطلت التعاليل. وهو أول مربعانية الشتاء، قارس البرودة، وتكثر فيه الأمطار بإذن الله، ويقطع فيه سعف النخل وفواصل الأشجار، ويقلل فيه سقي الزرع عدا القمح والشعير، وتنبت فيه الكمأة (الفقع)، وتزرع فيه الحلبة والقمح والشعير في شمال جزيرة العرب، وفيه بداية هجرة طيور القطا والكدري والجوني، ويندر سمك الفسكر، ويهلك الذباب وكثير من الحشرات، ويخرج البخار من الأفواه، وينزل الندى فجراً، ويستحب فيه أكل الحار.

[١] سبق الإشارة أن هذا الحساب الجريجوري الذي يسميه غالب العوام (الميلادي) غير منضبط في الأصل، إلا أن الغربيين استخدموا تقنيات الحواسيب الآلية لتصحيح الأخطاء وزيادة الأيام والساعات والدقائق والثواني وأجزائها من عند أنفسهم حتى يخرجوا بتقويم أيام مستقبلي منضبط يعتمدون عليه. وكنت لا أود ذكر هذه المواعيد بهذا التاريخ الجريجوري المعدل الذي لا يطابق في الأصل الآيات الكونية، ولا دقة السنين القمرية، ولكن لأن الحضارة الغربية جعلت الناس يتركون أصل التأمل في النجوم ومعرفة علاماتها، وأصبح لا يَعرِف الاستهداء بها وإدراك دلالات مطالعها إلا القليل من الناس في هذا الزمان، واعتمد غالبهم على ما وضعه الغربيون من جداول وتقاويم معدلة وبرامج حاسوبية تخفي أخطاءهم وزياداتهم وحذفهم من الأيام والسنين، وصار غالب الناس يتعاملون بهذه التقاويم الجريجورية مع أنها معدلة، فجردتهم من الارتباط الصحيح بالكون وعلاماته، والله المستعان.

القَلْب

ثم القلب وهو قلب «العقرب» (١٣ يوماً) يوافق بدايته (٢٠ ديسمبر) وقالوا: إذا طلع القلب، لان كلُّ صعب. ويشتد فيه البرد والرياح، وتكون قشعريرة في الصباح، ويظهر الضباب وتكثر الغيوم، فيه أطول ليلة وأقصر نهار في العام، وفيه يأخذ النهار بالزيادة من الليل، ويبدأ غرس العنب والأشجار وتقليمها، ويمكن فيه زراعة البرسيم والبطاطس والعدس والحلبة، وفيه نهاية زراعة الخس، وبداية تقليم الشجر ويبتدئ الطلع، ويظهر النجم الأحيمر، وفيه هجرة طيور الوز الشتوي، وبداية العام الجريجوري المسمى (الميلادي).

الشَّـوْلَة

ثم الشولة (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٢ يناير) وهي إبرة العقرب ومئبرها، وسمّيت بذلك لأنها مشالة أبداً – أي: مرفوعة؛ وهي كوكبان أزهران متقاربان، في طرف ذنب العقرب. وقالوا: إذا طلعت الشَّولة، أعجلت الشيخَ البولة. وهو آخر المربعانية وتستمر فيه شدة البرد والصقيع والضباب ونقص الليل وزيادة النهار، ويهيض فيه البلغم، ويزرع فيه المشمش والخوخ والحبة السوداء والبطيخ والباذنجان، وفيه بداية تسميد الأرض، وتعد فيه الأرض لزراعة أشجار الفاكهة، وهو آخر موعد لزراعة القمح والشعير في شمال جزيرة العرب، وتسقط فيه أوراق الشجر المثمر، ويخضر عشب الصحراء، وفيه هجرة طير القطا المعاعي (النغاق)، ويكثر سمك الهامور والنيسر والصافي والقرفقان والكوفر، ويقل سمك سلطان.

النَّعَائِمُ

ثم النّعائم (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (١٥ يناير) بفتح النون هي ثمانية أنجم تكوّن منزلة من منازل القمر، صورتها كالنَّعامة. وقيل: النُّعائم بضمّ النون، وهي الخشبات الّتي تكون على رأس البئر، ويعلّق فيها البَكَر والدّلاء؛ فشبّهت بها، كأنّ منها أربعة كذا، وأربعة كذا. وقالوا: إذا طلعت النَّعائم، خلص البرد إلى كل قائم. وبردها قارس وشديد ويزداد فيه الصقيع، ولا يكاد يزرع فيه شيء لشدة برودته، ويستحسن فيه تسميد النباتات المستديمة وتقليم اليابس منها، وتزرع البطاطس وتشتل الطماطم والباذنجان والفلفل، وفيه تبدأ النخيل البواكير في الطلع، وتعود الرياح لاتجاهها، ويخضر وجه الأرض، ويبدأ تغير الجو، وتستمر قطرات الندى، ويبدأ غرس الأشجار، وتتكاثر السحب وفيه هجرة طيور القطا، وينتهي موسم القنص وتتشبع الأرض بالرطوبة، ويَظهر الذباب.

البَلْدَة

ثم البلدة (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٢٨ يناير) وسميت البلدة لكونها رقعة من السماء قفر، لا كواكب فيها، وشبّهت بالفرجة التي تكون بين الحاجبين إذا لم يكونا مقرونين. ويقال رجل أبلد، إذا كان غير مقترن ما بين الحاجبين. وقالوا: إذا طلعت البلدة، أكلت القِشْدَة –وهي ما يخرج من الزبد والسّمن في أسفل القدر– وقيل: أكلت الجعدة، وهي نبت معروف. وفيها يشتد البرد ويجمد الماء، وهو أفضل وقت لزراعة البرسيم، وفيه يزرع البطيخ والقطن، وينقل في آخره أفراخ النخيل، وتستمر فيه زيادة النهار ونقصان الليل، والأيام الثلاثة الأخيرة منه جزء من "بذرة الست" الصالحة لزراعة جميع الأشجار، ويستحسن نبش الأرض وحراثتها، ويظهر ورق الأشجار، ويتكاثر سمك الكنعد ويندر سمك الزبيدي والبدح.

سَعْد الذَّابِح

ثم سعد الذابح (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (١٠ فبراير) وهو كوكبان، أحدهما شمالي والآخر جنوبي، وبينهما قدر ذراع؛ وعند الشمالي منهما كوكب صغير، هو شاته التي يذبحها، وهما على قرن الجدي. وقالوا: إذا طلع الذابح، حمى أهلَهُ النَّابح. والأيام الثلاثة الأولى منه جزء من "بذرة الست" الصالحة لزراعة الأشجار. ويبدأ فيه جريان الماء ليصعد في فروع الشجر ويكثر العشب والفقع، ويقطع فيه جذوع النخل، ويورق الخوخ والرمان والمشمش واللوز، ويزرع الشمام والبامية، وفيه تقليع فسائل النخيل، ونهاية زراعة الخيار، ويندر الروبيان وسمك الحمرة.

سَعْدُ بُلَع

ثم سعد بلع (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٢٣ فبراير) وهو كوكبان، بينهما ثالث خفيّ، حتّى كأنّ أحدهما ابتلعه، فنزل من الحلق الى الصّدر. وقالوا: إذا طلع بُلَع، اقتحم الرُّبُع –أي قوي على المشي– وصار في الأرض لُمع –أي بدَّر الكلأ. وهو آخر أنواء الشتاء، يكثر فيه المطر بإذن الله، وفي آخره ربما يكون البرد قارساً ويضر المزروعات، وتشتد فيه الرياح ويتحول اتجاهها، وتكون بداية لغبار خفيف، ويجري الماء في العود، وتنتهي زراعة الذرة والكوسة، ويبدأ فيه غرس فسائل النخل، وتلقيح النخل. ويقل سمك الربيب والكراري والقين، وتبدأ أمراض الحساسية.

سَـعْدُ السُّعُود

ثم يظهر أول أنواء فصل الربيع وهو سعد السعود (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٨ مارس) وهو ثلاثة كواكب، أحدها أنور من الباقيين؛ وسمّي بذلك لاستبشارهم بطلوعه، لأنّ طلوعه يكون عند إدبار البرد، وانقطاع الشتاء، وابتداء تواتر الأمطار. وقالوا: إذا طلع سعد السعود اخضرَّ العود، ولانت الجلود، وكره في الشمس القعود. وفيه يعتدل الطقس وتخضر الأرض ويكثر العشب وتزدهر الورود والرياحين ويزداد الفقع (الكمأ)، وتكثر الأمطار وتغرس فسائل النخل ويستمر تلقيح النخيل، ويقلم العنب والتين، ويزرع البرسيم والخضار، وفيه اقتران القمر بالثريا فيما يُسمّى بالقران الخامس والذي يقال فيه: (قران خامس، ربيع طامس)، ومعناه أن هذا الاقتران علامة على تفشي الربيع في أنحاء المعمورة، ويكون فيه الإقلال من سقي الزرع واستحباب ترك الدثار، والإحساس بدفء مؤقت، وهبوب رياح دافئة، وبعض الغبار الخفيف، وهيجان البراغيث.

سَـعْدُ الأَخْبِيَة

ثم سعد الأخبية (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٢١ مارس) وهو أربعة كواكب، ثلاثة منها على هيئة مثلّث حادّ الزوايا، وواحد في وسطه على مثال مركز الدائرة المحيطة به، وهو «السعد» والتي حواليه أخبيته؛ ويقال: بل سمّي بذلك، لأنّه إذا طلع؛ خرج من الهوامّ ما كان مختبئاً. وقالوا: إذا طلع الأخبية، حنّ الناس إلى لبس الأقبية. ويتساوى فيه الليل والنهار، ويزداد فيه الدفء واخضرار الأشجار، وتخرج الهوام والحشرات من جحورها ومخابئها، وتغرس فيه الأشجار وأشجار الفاكهة، ويكثر فيه تلقيح النخل، وتبذر فيه جميع البذور الصيفية والخضار والبرسيم، وفيه هجرة طيور الوز الربيعي، وينهى فيه عن أكل السمك المالح، وفيه زيادة النبق (الكنار)، واحتمال هبوب رياح الشمال، وبداية ندرة أم الروبيان، ونهاية موعد مقاومة آفات الزروع، ويكثر فيه سمك الشعري.

المُقَدَّم

ثم المقدم (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٣ إبريل) ويسمّى العرقوة العليا، وناهزي الدلو المقدّمين؛ وهما كوكبان أزهران. وقالوا: إذا طلع المقدَّم، فاخدم وإلا تندم. وبرده يهلك الثمار، وهو أوان انقطاع البلغم، ويكثر فيه الصداع والزكام، ويزرع فيه الأرز، ويحصد القمح، ويظهر فيه ورق العنب، وتقلم أفرع العنب، وينعقد فيه اللوز والتفاح، وتزرع الذرة الرفيعة، وفيه هجرة طيور الدخل وعودة القماري، ويتكاثر سمك الزبيدي والكراري والحمرة، ويندر سمك الجش، وترتدى الملابس الخفيفة، ويهيج النمل، ويقتطف العسل.

المُؤَخَّر

ثم المؤخر (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (١٦ إبريل) ويسمّى العرقوة السفلى، وناهزي الدلو المؤخّرين. وقالوا: إذا طلع المؤخَّر، فأسرع ولا تتأخر. ويعتدل فيه الجو في الليل ويميل للحرارة في الظهيرة، وإذا حدث فيه مطر فيكون بإذن الله غزيراً ويخضر به العشب، ويستحسن فيه تلقيح النخيل، وتغرس فيه النخيل والأشجار المثمرة، وتسمد فيه الأشجار التي لم تسمد من قبل، وتزرع البذور الصيفية، وتكثر فيه طيور القماري وطيور الربيع، ويخرج النمل من باطن الأرض، وتكثر القوارض، ويتحول اتجاه الرياح، ويهيج الذباب، ويحس بالحرارة، ويستحب شرب الماء.

الرِشَـاء

ثم الرِشاء (١٣ يوماً) ويسمى: بَطْنَ الحُوت، يوافق بدايته حسابياً (٢٩ إبريل) ويسمى بطن الحوت وقلب الحوت أيضاً، وهو كوكب نيّر في أحد شقّي بطن سمكة، تسمّى «الرّشاء». وقالوا: إذا طلعت السمكة، أمكنت الحركة، وتعلقت بالثوب الحسكة، أي: حسك السَّعدان. وهو آخر النجوم اليمانية، ليله معتدل ونهاره حار خاصة في الظهيرة، ومطره غزير بإذن الله، وتهبُّ فيه الرياح العالية، وفيه تغيير أوراق شجر البمبر، وتغرس فيه فسائل النخل، وتزرع الخضار كالطماطم والفلفل والباذنجان والبصل، وتكثر فيه طيور القماري والصفاري والخواضير والطيور الصغيرة، ويكثر سمك الجد والفسكر، ويستمر تكاثر بعض الأسماك ويَندر بعضها.

الشَّـرَطَان

ثم نوء الشرَطان (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (١٢ مايو) أول النجوم الشامية، وهما العلامتان، وسمّي بذلك – كما سمّي أصحاب السلاطين شرطاً – إذ علّموا أنفسهم بالسواد أو غيره. وقالوا: إذا طلع الشرطان استوى الزمان، وخَضرت الأغصان، وعمرت الأوطان، وتهادت الجيران، وبات الفقير بكل مكان. ويميل الطقس فيه إلى الدفء وتستمر زيادة النهار، وتكثر فيه الرياح والعواصف وبه أمطار خفيفة، وتزرع فيه الذرة الرفيعة والشامية والفول السوداني والعروة الأخيرة من الخيار، وتختفي كثير من الحشرات ويظهر العنب البكر، وفيه بداية صيد اللؤلؤ بالخليج، واستحباب شرب الماء صباحاً، وبداية تضاؤل الظل.

البُطَيْن

ثم البطين (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٢٥ مايو) وصغّروه بالإضافة إلى بطن الحوت. وقالوا: إذا طلع البُطين اقتُضي الدَّين. وهو آخر أنواء الربيع وأول مربعانية القيظ، تزداد فيه حرارة الطقس، ويزيد النهار وينقص الليل، ويبدأ جفاف العشب، وتزداد حاجة الأشجار إلى الماء، ويحبس الماء عن الأشجار المزهرة حتى انعقاد الثمرة، ويغرس فيه قصب السكر، وفيه أفضل أوقات غرس النخيل، وتجنى فيه باكورة البطيخ، ويقرب نضج ثمرة البمبر، وتسقط أوراق السدر، ودخول النمل في باطن الأرض، وفيه بداية باكورة الرطب وهبوب ريح الشمال ونهاية الركود في الجو، وينقص الظل، ويكثر سمك الزبيدي والكراري.

الثُّرَيّا

ثم يظهر أول أنواء فصل الصيف وهو الثريا (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٧ يونيو) وهي ستّة كواكب مجتمعة، أشبه شيء بعنقود من العنب. ويشتد فيه الحر وتكثر العواصف، وتبدأ رياح السموم، وتقل الأمطار، ويصفر العشب ويجف، وتختفي الحشرات الربيعية، ويبدأ تلون طلع بواكير النخل، واشتهر أوانه بسرعة برء الجروح، وتكاثر سمك القين واستمرار تكاثر سمك الفسكر والحمرة، وفيه بداية ضمور الظل. وقالوا: إذا طلعت الثريَّا عشيًّا، بع لراعيك كسيّا، فإن طلعت غُدَيّا ابتغ له سقيًّا.

الدَّبَرَان

ثم الدبران (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٢٠ يونيو) وهو كوكب أحمر نيّر. وقالوا: إذا طلع الدَّبَران، توقَّدت الحرَّتان، ويبست الغدران. وفيه أطول نهار وأقصر ليل، وفيه يبدأ الليل في الزيادة، وجفاف الجو، وترسب الغبار في الليل، وفي الخامس منه ينعدم ظل الزوال لتعامد الشمس مع مدار السرطان، وتشتد فيه حرارة الطقس، ويزداد تلون طلع النخيل، ويتوفر التين، وتزرع الذرة الشامية والملوخية والقثاء والكوسة والقرعيات والبقدونس والجرجير، وفيه أوان نضج العنب، ونهاية موعد تسميد الأرض، ويكثر سمك الفسكر.

الهَقْعَة

ثم الهقعة (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٣ يوليو) وهي ثلاثة كواكب صغار متقاربة، كأنّها آثار الإبهام والسّبّابة والوسطى، إذا نكت بها على الأرض وهي مقبوضة؛ وسمّيت بذلك تشبيها بدائرة تكون على جنب الفرس، عند مفصل الرّجل، يقال: فرس مهقوع. وقالوا: إذا طلعت الهَقْعَة، رجع الناس عن النُّجْعة. ويتناقص فيه النهار ويزداد الليل، ويشتد الحر وتكثر السَّموم والعواصف الترابية، ويبدأ نضوج بواكير النخيل وترطيب البلح، وتزرع فيه بعض الخضار كالكوسة والقرع والخيار، ويطيب بعده الغوص لاستخراج اللؤلؤ، ويستحب تناول المبردات، ويكثر سمك الحمرة والقين، ويندر الخثاق، وتهدأ الرياح، وتقترب قطع من الغمام.

الهَنْعَة

ثم الهنعة (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (١٦ يوليو) وهي كوكبان زاهران بينهما قيد سوط؛ من هنعت الشيء، إذا عطفته وثنيت بعضه على بعض، فكأنّ كلّ واحد منهما ينعطف على صاحبه. وقالوا: إذا طلعت الهَنْعَة، انعطفوا إلى المنعة. يبلغ فيه الحر أشده (جمرة القيظ) واشتداد السَّموم حتى منتصف الليل، ويستمر الجفاف، وتكون الرياح ساكنة، ولا يزرع فيه إلا الذرة والملوخية، ويكثر من ري المزروعات، ويتوفر الرطب، وبانتهائه يبدأ باطن الأرض بالبرودة، وفيه أول زراعة البطيخ، وظهور الروبيان، وتقلب اتجاه الرياح، وشدة تألق كوكب الزهرة.

الذِّرَاع

ثم الذراع (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٢٩ يوليو) وهي كوكبان بينهما مقدار ذراع، وهذه الذراع هي ذراع الأسد المبسوطة عند العرب، وقالو: إذا طلع الذراع، حسرت الشمس القناع، واشتعل في الأفق الشعاع، وترقرق السَّراب بكل قاع. وتستمر فيه شدة الحر والسَّموم مع حدوث عواصف ترابية أحياناً وغيوم مع مطر خفيف، وهو أوان استخراج اللؤلؤ، ويكثر فيه الرطب والفواكه الصيفية، ويبدأ غرس فسائل النخيل، ويستمر في ري المزروعات، ويكثر الرطب الجيد، ويكثر الروبيان وسمك سلطان، ويندر سمك الصافي والهامور والكنعد والجد، ويظهر سمك الشعري.

النَّثْرَة

ثم النثرة (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (١١ أغسطس) وهي الموضع الّذي بين فم الأسد ومنخريه، وقالوا: إذا طلعت النَّثرة، جُني النخل بكثرة، ولم يترك في ذات دَرٍّ قطرة. وفيه يلطف الجو قليلاً وبالأخص في ساعات المساء، ويزداد هبوب الرياح والرطوبة، ويستمر غرس فسائل النخيل، وتبدأ الزراعة الخريفية المبكرة كالطماطم والباذنجان والبصل والسمسم والذرة الشامية، وفيه هجرة طيور الدخل، ويندر سمك النيسر والكوفر والبياح، ويتكاثر سمك البدح.

الطَّرْفَة

ثم الطرفة أو الطرف (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٢٤ أغسطس) ويعنون به عين الأسد، وهما كوكبان متقاربان، وهو أول سهيل وآخر أنواء الصيف، والعرب تقول: إذا طلع سهيل لا تأمن السيل. وقالوا: إذا طلع الطَّرْف، سهل أمر الضَّيف وخف. ويلطف الجو فيه ليلاً مع بقاء الحر في ساعات النهار، وهو مناسب لغرس فسائل النخيل والأشجار، وتزرع فيه الخضار (مثل نوء النثرة) والجزر واللفت والفجل والسبانخ والفاصوليا والطماطم والملفوف والذرة والباذنجان والكوسة، وتتواجد فيه بعض الطيور المهاجرة كالدخل والصفاري. ويشرب المخيض من اللبن والبارد من الشراب، وتتحول الرياح إلى جنوبية. ويكثر سمك البياح.

الجَبْهَة

ثم يظهر أول أنواء فصل الخريف وهو الجبهة (١٤ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٦ سبتمبر) يعنون بها جبهة الأسد، وهي أربعة كواكب. وقالوا: إذا طلعت الجَبْهة، توجَّه المسافر في كلِّ وجهة. وينهى فيه عن النوم تحت أديم السماء، ويعتدل الطقس في الليل ويستحب البعد عن التكييف ليلاً، ويتحسن الطقس نهاراً ولا يزال حاراً، ومطره نافع بإذن الله، ويبدأ فيه صرام النخيل، وتغرس فسائله، وتشتل الأشجار وتزرع الخضار والكراث والبقل وتبدأ زراعة البنجر والقرنبيط، وتلقح ثمار النبق، ويتكاثر سمك الهامور والصافي والربيب والجش، وهو نهاية موسم البلح.

الزُّبْرَة

ثم الزبرة (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٢٠ سبتمبر) ويعنون بها زبرة الأسد أي: كاهله ومغرز عنقه أو موضع الشّعر الّذى على أكتافه، لأنّه يزبئرّ عند الغضب. وهي كوكبان بينهما قيد سوط. وفيه يتلطف الطقس في النهار ويبرد في الليل، ويتساوى فيه الليل والنهار، وتكون الرياح ساكنة، وأمطاره إذا هطلت تكون غزيرة، وفيه بداية استحسان أكل البارد، وفيه كثرة جذاذ النخيل، ويستمر فيه غرس النخيل وزراعة الخضار والبقول وكثرة سقي الغرس، وبداية زراعة الفول، وتشتل فيه الطماطم والباذنجان والبصل والخس، وفيه نهاية زراعة البامية، وتهاجر طيور القماري، وبداية كثرة الذباب، وتكثر أم الروبيان، وفيه ختام موسم الغوص.

الصَّرْفَة

ثم الصرفة (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٣ أكتوبر) وهو كوكب أزهر على طرف ذنب الأسد؛ وسمّي بهذا الاسم، لانصراف الحرّ عند طلوعه، والبرد عند سقوطه. وقالوا: إذا طلعت الصَّرفة احتال كلُّ ذي حرفة. وهي آخر سهيل، فيعتدل الجو في النهار وتزداد برودته في الليل، ويستمر فيه غرس النخيل والأشجار، ويكثر الرمان ويحصد الأرز، ويزرع البرسيم والكزبرة والخس والجزر والفلفل الأخضر والبصل الجاف والبقول والخضار الشتوية، وتهاجر طيور الماء والبط والغرانيق، وتنتشر الأرضة في الأثاث، ويكثر فيه سمك البدح والخثاق والقبقب، ويتكاثر سمك القرقفان والصافي، وتمارس فيه هواية القنص.

العَوَّاء

ثم العوّاء (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (١٦ أكتوبر) وهو خمسة كواكب، على خطّ معقّق الطّرف، ولذلك سمّي بهذا الاسم. يقال: عويت الشيء، إذا عطفته. ويقال: إذا طلعت العَوَّاء، ضُرب الخباء، وطاب الهواء. وهو أول نجوم الوسم، يعتدل الجو في نهاره ويبرد في ليله، وأمطاره محمودة تنبت الكمأة (الفقع) والشيح والنفل وجميع الأعشاب البرية، ويستمر فيه غرس النخيل وزراعة البرسيم والبقول والبصل والثوم والخضار. وتكافح فيه أمراض الزراعة وأمراض الخريف وأمراض العيون والزكام، وفيه بداية هيجان الإبل، وضعف حركة الجماع، وبداية تسخين الماء، واستحباب قطع الأشجار، وهو بداية هجرة طيور الحبارى والكروان والسمق.

السِّمَاك

ثم السِّماك (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٢٩ أكتوبر) ويسمّى ساق الأسد، وسمّي سماكاً لارتفاعه، وهو آخر النجوم الشامية، وقالوا: وإذا طلع السِّماك، كثر على الماء اللِّكاك، يعني الزِّحام. وتزداد فيه البرودة في الليل، وتهب فيه الرياح الجنوبية، وتكثر الأمطار وتكون غزيرة بإذن الله، وتسمد الأشجار، وتزرع فيه البقول والخضار، وفيه نهاية زراعة الطماطم والذرة، وتقاوم الآفات الزراعية، ويكثر سمك الجش، وتهب رياح جنوبية شرقية، ويستحب الجلوس تحت أديم السماء، ويتحسن الطقس، ويتكاثر السمك، وقد تحصل للناس فيه إصابات بالإسهال.

الغَفْر

ثم الغفر (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (١١ نوفمبر) وهو ثلاثة كواكب، ليست بزُهر على ذيل العذراء ورجلها اليسرى، وسمّى «غفراً» لنقصان ضوء كواكبه، يقال: غفرت الشيء، إذا غطّيته؛ وأيضاً: لأنّه يعلو زبانى العقرب، فيصير بمنزلة المغفر. وقيل: هو من الغفرة، وهي الشّعر الّذى على طرف ذنب الأسد. وقالوا: إذا طلع الغَفْر، عاد السَّفْر. وهو أول النجوم اليمانية، تزداد فيه برودة الليل ولايزال نهاره معتدلاً، ومطره ينبت الكمأة (الفقع)، وينهى فيه عن شرب الماء ليلاً قبل النوم، ويزرع القمح والشعير والعدس والبصل في وسط جزيرة العرب، وتزرع فيه الخضار، وهو بداية هجرة طيور قطا نجد المقطقط. ويوقف فيه استعمال المكيفات، ويبرد الصباح ويحتمل ظهور الغيوم، ويستحسن ارتداء الصوف.

الزُّبَانَا

ثم الزبانا (١٣ يوماً) يوافق بدايته حسابياً (٢٤ نوفمبر) وهي كوكبان مضيئان، مفترقان بينهما خمسة أذرع، بموضع يصلح أن يكون زبانيي العقرب، ولكنّها من صورة الميزان، ويقال أنّ اسمها مشتقّ من الزّبن. وقالوا: إذا طلعت الزُّبانى، أخذ كلُّ ذي عيال شانا. وهو آخر الوسم ونهاية فصل الخريف وبداية فصل الشتاء وتشتد فيه البرودة والرياح الباردة، ومطره ينبت الكمأة (الفقع)، وتستمر فيه زراعة القمح والشعير والخضار والبقول وفيه نهاية زراعة الفلفل الحار والبصل، ويحبس الماء عن أشجار الفواكه التي تتساقط أوراقها في فصل الشتاء كالعنب والرمان إذا كانت الأرض طينية، ويقلل من سقيها إذا كانت رملية، وفيه وفرة سمك الحمام وتكاثر سمك الكوفر.

* * *

الخاتمة

وأخيراً .. فينبغي للمسلم أن يستزيد من العلم النافع والقراءة والاطلاع من المصادر الموثوقة، ولا يتعصب لرأيه وهواه.

وعليه أن يسأل أهل العلم الراسخين، ويرجع إلى كتبهم، وخاصة كتب الثقات من علماء القرون الهجرية الثلاثة الأولى التي هي خير القرون، ومن تبعهم بإحسان من العلماء المحققين، وأن يعلم أن أمة الإسلام لا تجتمع على ضلالة، وأن العقل السليم لا يصادم الوحي. وإنما العيب من القصور في التعلم، وضعف العقل، واتباع أهواء قوم قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل.

أسأل الله أن يرينا الحق حقاً، ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً، ويرزقنا اجتنابه، وأن يَسلك بنا سبيل الذين أنعم عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٣

نبذة عن الحضارة الإسلامية ٥

إبداع المسلمين في عِلم الفَلَك ١٢

تمزُّق الخلافة والحضارة الإسلامية ونشوء الحضارة الغربية ١٦

خَلْق السماوات والأرض ٢٣

السماء بناءٌ شديد، وليس (فضاءً) ٢٤

كانت السماوات والأرض رتقاً ٢٤

المسافات بين السماوات والأرض ٢٥

كروية الأرض وكروية السماء ٢٦

حركة الشمس والقمر ٣٦

كان القمر متوهجاً ٣٧

معجزة انشقاق القمر ٣٨

الأفلاك ٤٠

الأرض في مركز الكون ثابتة لا تدور ٤٢

ظهور نظرية مركزية الشمس مع ظهور الإلحاد في أوروبا ٤٤

الملحدون عظموا الشمس والنار لجعلها مركز الكون ٤٥

نظرية دروان الأرض تخالف الحس والعقل ٤٧

حساب الزمان والسنين ٥٢

يوم (الجُمُعة) أفضل الأيام ٥٤
المسلمون أكثر الناس نظراً في الكون ٥٥
طباعة التقاويم الحسابية ٥٦
انتقال الرومان من التاريخ (القمري) إلى (الشمسي) ٥٦
التاريخ الشمسي الميلادي ٥٧
التعديل الجريجوري لانحراف التأريخ الميلادي..... ٥٧
نعمة التغاير بين السنة القمرية ودورة الأبراج ٥٩
النجوم والبروج..... ٦٠
معرفة الاتجاهات من خلال النجوم والبروج..... ٦٢
العِلم المحمود في النجوم والأبراج..... ٦٣
منذ القدم يمكن رصد الخسوف والكسوف قبل حدوثهما ٦٤
نفي المسلمين خرافات الأبراج ٦٥
الدراسات الحديثة ترفض ربط الخرافات بالأبراج ٦٧
المواسم والفصول في مَنازل القمر..... ٦٨
الخاتمة..... ٨٠
فهرس الموضوعات ٨١